LOLA.DZ

لولا

دينـــاتور

DINATOR

دار السهوب

ART_OF_BOOK

@ART_OF_BOOK

@ART_OF_BOOK

-1-

أصداء الغابة

أصوات قوية هزت كياني، صرخات تصاعدت من بعيد مملوءة بالرعب لدرجة تجعل الأصم يسمع... وسط هذه الفوضى، كانت تتعالى تلاوات من سورة التحريم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا"... الصوت لم يكن مريحًا ولا يبعث الهدوء في النفس، بل كانت الآيات تُتلى بصوت مرتفع يزيد من لواعج القلق الذي كان ينهش أعماقي.

حاولت فتح عيناي لأرى من هؤلاء الذين يصرخون من بعيد، لكن شعرت بثقل في أجفاني كأنّها قد حملت الجبال على عاتقها، حتى المطر الذي انساب على وجهي بلطفٍ لم يكن كافيًا ليوقظني، لماذا؟ لماذا لا أستطيع التحكم في جسدي؟! أحسست بشلل في كامل أعضائي كأنّ جسمي تمرد على رغباتي، يرفض الانصياع لي ويتجاهلني! كان عليّ أن أستيقظ وأضع حدًّا لهذا الكابوس المروع...

الأصوات التي كانت تبدو بعيدةً بدأت تقترب شيئًا فشيئًا وتزداد وضوحًا، حتى شعرت أنها تصرخ في أذني... الصرخات من جهة والتلاوات من جهة أخرى شكلت ضجيجاً لا يُطاق... وفي خضمّ تلك الفوضى، كان هناك صراخ من نوعٍ آخر يخطفني من حالة الجمود؛ صرخة امرأة مفعمة بالغضب تنادي:

- "استيقظي! استيقظي الآن!"

فتحت عيناي بفزعٍ وكان الصمت يعم المكان... لا أصوات، لا صرخات، فقط هدوء مريب... لمحت على الفور السماء المظلمة التي بعثت في نفسي

الرهبة، هل هذا هو يوم القيامة؟ هل انا في جهنم؟ رأيت الأشجار بدون أوراق؛ هل هذه شجرة الزقوم؟!

لا، لست في جهنم... حاولت طمأنة نفسي، لكن الذعر بدأ يتملكني...

قطرات المطر كانت لا تزال تتساقط، تلامس وجهي، تعيد إليّ حواسي... شعرت بالبرودة تسري في جسدي كله، فأدركت أنني مستلقية على أرض موحلة... كابدت من أجل النهوض؛ فقد كان الألم الشديد في رأسي يمنعني من ذلك، وساقاي لم تقويا على حملي، وما إن وقفت حتى شعرت بقشعريرة تجتاح جسدي... نظرت إلى ملابسي؛ كنت أرتدي فستانًا أبيض اللون، وعلى الرغم من أنني كنت مستلقية على الأرض الموحلة، إلّا أنّ الفستان كان نظيفًا بشكلٍ غريبٍ...

زادت حدّة الألم في رأسي كأنه مطرقة تضربني بلا رحمة... وضعت يدي على رأسي لأتفقد الأمر فوجدت الدم يسيل من جرح غائر، لقد أصبت بشيءٍ ما. شعرت بعدها بالألم يمتد إلى جانب رقبتي، فحاولت تدليكها بلطف في محاولة لتخفيفه، لكن دون جدوى... وبينما كنت أتخبط في هذا العذاب، شعرت بألم شديد في بطني، يصعب تحديد سببه...

رفعت بعدها يدي المرتجفة والملطخة بالدماء لألمح أنني حافية القدمين، والبرد الذي شعرت به من قبل لم يكن شيئًا مقارنة بالبرودة التي اجتاحتني حينما رأيت الخدوش والجروح تُغطي ذراعي، كأنني تعرضت لهجوم وحشي... لكن من فعل بي هذا؟ من جعلني أعاني كل هذه الآلام؟!

لحظة... قبل أن أسأل من فعل بي هذا، من أنا أصلًا؟ ماذا كنت أفعل هنا؟! لم أكن أعرف من أنا؛ فقدان الذاكرة أخذني في حضنه، حرمني من معرفة هويتي... لا أحمل ذكرى لأي شيء؛ لا اسم، لا عائلة، ولا ذكريات... حاولت أن أتذكر لكن الألم في رأسي كان يمنعني، الرياح المتناوحة كانت تضرب وجهي بقسوة، تلامس شعري الأسود المجعد، وتعيدني إلى واقعٍ بدَا لي مبهمًا...

بدأت أكتشف محيطي، رفعت رأسي ونظرت حولي، لكن كل ما رأيته كان فوضى عارمة... كنت وسط قريةٍ مظلمةٍ تحيطها غابةٌ كثيفة، تتوزع فيها بعض البيوت الصغيرة القديمة... ذكرتني ببيوت العائلات الجزائرية إبّان الحقبة الاستعمارية، حيث كان البيت الواحد يضمّ عدّة غرفٍ متفرّقة، تجمعها ساحةٌ مشتركةٌ في الوسط. وهناك، كانت تجتمع العائلات في الماضي لتناول الطعام وقضاء الوقت معًا... لكن لا شيء من ذلك حاضرٌ هنا... بل كانت المنازل مهجورة، تعج بالرطوبة، تبدو وكأنّ كياناتٍ غريبةً تسكنها...

لكن كيف استطعت تذكر تفاصيل هذه المنازل وحياة سكانها بدقة، في حين لا أتذكر شيئًا عن نفسي؟ ... هذا غريب! ربما هناك تفسير علمي لفقدان الذاكرة الجزئي، ربما كان ذلك نتيجة الصدمة؟ لكن أيّة صدمة، أو أيُّ حادثٍ تعرضتُ له جعلني في هذه الحالة يا رب؟...

شعرت بثقلٍ حول عنقي، وعندما نظرت للأسفل رأيت ساعة معلقة كقلادة مكسورة ومتوقفة عند الساعة 03:30... أضفى هذا المشهد على نفسي شعورًا بالخوف، لم أعد أستطيع معرفة الوقت! أدرت الساعة لأجد

اسمًا محفورًا عليها: "دينا"... جربت الاسم على لساني لعله يذكرني بشيء... "دينا"؟ كان مألوفًا وكأنه يحمل جزءًا من هويتي...

لكن قبل أن تسحبني أفكاري أكثر، سمعت صوتًا يناديني... كان منبعثًا من أحد المنازل المغلقة حيث كانت هناك طلاسم غريبة مكتوبة على الباب:

- "دينا... دينا..."

بدا الصوت كأنه آتٍ من بعيد، لكنه كان يتردد في أذني بوضوح، كأنه يخاطب روحي مباشرة...

تقدمت نحو مصدر الصوت، لكن سرعان ما تذكرت أسطورة الندّاهة؛ الجنّيّة التي تنادي الناس بأسمائهم وتغريهم ليفقدوا إلى الأبد، ماذا لو كانت هي؟ توقفت في مكاني مرتبكة، لكن الصوت لم يتوقف، بل زاد قوة حتى تحول إلى صرخة مرعبة:

- "دييينااااا"...

فجأة، انفتح الباب بعنف كأن شخصًا ضربه بقوة واختفى في لمح البصر، لكن من يا إلهي؟! شعرت بالرعب يشل حركتي... بدأت أقرأ آية الكرسي بصوت خافت، لا أعلم كيف أتذكرها لكنني فعلت...

- "الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم"...

وبينما أتمم الآيات، سمعت صوت ضحكة ساخرة قادمة من خلف الباب:

- "إيمانك ليس سوى نفاقًا"...

نصبت نظري على الباب فور سماعي لهذه الكلمات، ابتعدت عن المنزل بخطوات ثقيلة وعيناي تراقب المنزل من الداخل... أدركت أنني كنت وحدي، فمِن أين أتى هذا الصوت؟! شعرت بجسدي يرتخي فجأةً وبدأت أركض بعيدًا عن هذا المكان الملعون...

أوقفتني، قاطعتني، لم تتركني أنهي الآيات...

ركضت بسرعة دون أن أجرؤ على النظر خلفي؛ صدى كلمات تلك المرأة كان يرن في أذني: "إيمانك ليس سوى نفاقًا"... كيف تجرّأت على الحكم على ما يكنه قلبي؟ ... أليس الله وحده العالم بما في النفوس؟ ... هل يمكن للجن أن يعرفوا ما يختبئ في أعماق النفس؟ هل كانت تلك المرأة جنية حقًا؟

تلاحقت الأسئلة في رأسي بنفس سرعة خطواتي الهاربة، لماذا أنا مصابة؟ من هاجمني؟ من وضعني في هذا المكان المرعب؟ كانت أنفاسي تزداد لهاثًا مع كل خطوة حتى تسلل التعب إلى جسدي... غادرت القرية المليئة بالطاقة السلبية واتجهت نحو الغابة، لكن السّلام لم يكن ينتظرني هناك... فلم أجد الراحة لا لجسدي ولا لروحي المعذبة...

امتزجت مشاعري بين الخوف والحزن في آنٍ واحد... لماذا أثرت كلمات تلك الجنية في نفسي بهذا الشكل؟ تساءلت هل كان إيماني قويًا قبل أن أفقد ذاكرتي؟ لماذا أشعر بهذا الانقباض في قلبي؟ كأنني في دوامة من اليأس والغضب...

CamScanner

وسط زحمة أفكاري، سمعت خطواتٍ بطيئةً وثقيلةً خلفي... صداها جعل الدّم يتجمّد في عروقي! استدرت بحذرٍ شديد خشية أن يباغتني كائنٌ ما، لكن لم أجد سوى العدم، فتساءلت بقلقٍ إذا كنت أتخيل، أم أنني قد فقدت عقلي.

واصلت السّير والخوفُ ينخر قلبي، لكن سرعان ما سمعت الخطوات مجدّدًا... هذه المرّة كانت تتسارع نحوي! لا، لم يكن ذلك مجرد خيال؛ كان هناك شيءٌ يقترب منّي بسرعة فائقة!

بدأت أركض مرّة أخرى دون أن أجرؤ على النظر خلفي... ماذا يحدث لي؟ أين أنا يا الله؟ لكن كلّما ركضت أسرع، زادت سرعة الخطوات... وفجأة، رأيت ظلًّا يركض بجانبي وأطلق ضحكةً شيطانيّةً تملأ الأجواء، لم أعد أنا من يتحكم في خطواتي، بل كان خوفي هو من يسيطر عليها...

لم يكن ظلّي، لم أكن أتخيل؛ كانت هناك كيانات تلاحقني... بعد دقائق طويلة من الجري المحموم تحت وطأة المطر الغزير، تسلل الظل إلى داخل الغابة تاركًا إيّاي وحيدة... توقّفت ألهث بشدّة، شعرت بدوارٍ شديدٍ، وضعت يدي على رأسي والأخرى على بطني المتألم وانفجرت باكية، ما الذي يحدث لي يا الله؟ ...

بعد نوبة البكاء، مسحت دموعي وبحثت عن مأوى تحت شجرةٍ كبيرة، وسرعان ما نال مني الإرهاق مبتغاه... خارت قواي، أصبحت مستنزفةً

CamScanner

جسديًا وعقليًا، وكأنّ كلّ ذرّة في كياني تئن تحت وطأة التعب. ربما كان النوم هو المفر الوحيد من هذه الفوضى العارمة التي اجتاحتني

@ART_OF_BOOK

CamScanner

-2-

تیک تاک

CamScanner

بينما بدأت أستسلم للنوم، كانت حواسي لا تزال متيقظة وتشعر بكل ما يحيط بي. صوت تمايل الأغصان وتداخلها، تتعانق أحيانًا وتتصارع أحيانًا أخرى، كأنها تعكس اضطرابَ روحي. دويُّ الرعد البعيد وقطرات المطر المتساقطة جعلاني أشعر بارتجاف خفيف، بينما الرياح تداعب وجهي كأنها تهمس لي: "لا تنغمسي في غياهب النوم العميق... لا تتركي نفسك لأحضان الغفوة، فأنت لست في مكانٍ آمنٍ.

هل كانت الطبيعة البرية تحاول جاهدةً إبقائي على قيد الحياة؟ أم أنّ عقلي، المنهك مما عشته، كان في حالة استنفار؟

كانت أفكاري تتلاعب بعقلي، لم أعد أعرف على ماذا أركز تفكيري... لكن شيئًا فشيئًا بدأت أفكاري تسلك طريقًا جديدًا... حلْم هادئٌ حلّ مكان الفوضى... فجأة، أصبح كل شيءٍ أخضر، ملوّنًا، جميلًا وساحرًا... بدا وكأنني في حديقة... نعم، وجدت نفسي في حديقة... ورأيت أطفالًا يلعبون، عددهم ثلاثة بالتحديد، صبيّان وفتاة، لم يتجاوز عمرهم التّسع سنوات... كان الصبيان يرتديان سروالين رماديين وقميصين خضراوين، أمّا الفتاة فكانت ترتدي فستانًا بلون البنفسج مناسبٌ تمامًا لتفاصيل وجهها...

كانوا يضحكون، يلعبون، ويرسمون...

لبرهة قصيرة، اجتاحني شعورٌ لم أعرفه منذ أن وصلت إلى هذا المكان، شعرت بالنشوة العميقة، يا له من شعورٍ ناصع... هل هذا هو الفرح؟ هل هذه هي البهجة؟ أن تشعر بقلبك ينبض لرؤية أطفالٍ سعداء؟ لم يستغرق

CamScanner

الأمر سوى لحظاتٍ قليلةً حتى تحوّل البرد الذي كان يسري في جسدي إلى دفء لطيف، وكأنّ رأسي لم يكن مستلقيًا على طين مبلل، بل على سحابة... كانت ضحكاتهم هي ضحكتي، وسعادتهم سعادتي، ورغم أنني كنت أعلم أن جسدي في حالة نوم، إلا أنني ابتسمت في داخلي ابتسامة طفولية بريئة...

كنت أراقبهم يلعبون، حتى التفتت الفتاة الصغيرة لتنظر إليّ وكاد قلبي يتوقف عن النبض... تبادلنا نظرةً سريعة، ويا إلهي، يا خالق السماوات والأرض! اغفر لي لقولي هذا... لكنّ جمال خلقك انطوى في ثغرها، وعندما ابتسمت لي شعرت أنني أسعد امرأة في العالم... كانت ابتسامتها تشبه ابتسامة طفلة تتأكد أنّ والدتها ما زالت بجانبها بينما هي تلعب مع أصدقائها، فأحسست بدفء في قلبي على الفور... لماذا أشعر بهذا الإحساس نحوها؟ لماذا هي مميزة جدًا؟ ثم عادت لتلعب مع أصدقائها...

تيك تاك...

صوت غريب أزعج سكينة حلمي... وفجأة، غادرت الشمس هذا المشهد اللطيف... نظرت إلى السماء حيث بدأت الغيوم تتلبد وتُعكر صفو الجو، كأنها بوادر عاصفة لا تبشر بخير... خفضت عيناي القلقتين نحو الأطفال، ورغم انزعاجهم من الطقس، إلّا أنّ ذلك لم يمنعهم من اللعب. شعرت بغيرة طفيفة في داخلي... آه، الأطفال، يصعب عليهم التخلي عن سعادتهم، أليس كذلك؟

CamScanner

الأمر الغريب هو أنني شعرت كأنّ أحدًا ما يراقبني عندما كنت نائمة، ولا أعرف كيف أفسر ذلك حتى لنفسي... لكنني شعرت بعيونٍ تخترقني بنظراتٍ غريبة... تجاهلت هذا الشعور! أنا أيضًا، مثل هؤلاء الأطفال، لن أترك شيئًا يعكر صفو هذه اللحظة السّحرية... رأيتهم يلعبون... يضحكون، رغم كل شيء. كانت الفتاة الصغيرة قد رسمت نجمةً وقدمتها لأحد الصبيان الذي أخذها وبدأ يحمر خجلاً... كم هو لطيف... ثم...

تيك تاك... تيك تاك...

قبل أن أستوعب ما يعكر صفو هذه اللحظة مجددًا، انطلقت صاعقةٌ فجأة في حلمي، وبدأت رياحٌ باردةٌ تشتد قوتها... أصبح الجو أكثر كآبة وظلمة، وسرعان ما تحول هذا الملاذ الآمن إلى مكان لا يُطاق... بدأ الصّبيّان يفقدان صبرهما، لكنّ الفتاة الصغيرة، رغم تذمرها، كانت تبذل جهدًا للبقاء في مكانها... شجاعتها وعنادها تركا أثرًا سريعًا في نفسي، مما جعلني أفخر بها... لكنني كنت قلقة أيضًا... الطقس لم يكن يبشر بخير، ولم أستطع التحدث أو التحرك، كنت مجرد شاهدة على ما يحدث أمام عيناي...

جلست الفتاة على الأرض وبدأت ترسم، لكنّ أمراً لا يُصدق بدأ يتجلى أمام ناظري... كلما رسمت، تحولت لوحاتها إلى شيءٍ بشع... رسمت غصن شجرةٍ جميل، فانقلب إلى ثعبان قبيح، ثمّ رسمت حبلًا للقفز، فتحوّل إلى حبل المشنقة... كأنما إذا رسمت الحياة، حلّ الموت مكانها، ولكن لماذا؟!

CamScanner

رفعت رأسها ونظرت إليّ بذهول مما يحدث، وبادلتها نفس النظرة، كأنني أعتذر، ولكنني لا أعرف لماذا، هل فعلت خطأً ما؟ ما الخطأ الذي ارتكبته؟ ماذا فعلت؟ ... ثم جذبت انتباهها صرخات الصبيين اللذان من هول المنظر اتخذا من الهروب سبيلًا لهما ... تركاها هناك، ضائعة ووحيدة، كنت هناك أيضًا، لكن يبدو أنّ وجودي لم يكن يخفف من عذابها، كانت تبدو منهارة، حزينة، ورأسها مطأطأً، حاولت بكلّ قوتي التحرك نحوها لتهدئتها، لكنني شعرت بالأرض تهتز تحت خطى ثقيلة...

كان هناك شيء يقترب مني، لكن ليس في الحلم، بل في الواقع... كيف علمت بذلك؟ كانت مشاعري حقيقيّة جدًّا... حقيقية للغاية من أن تكون مجرد حلم أو كابوس، لا أعرف الآن... لو فقط...

تيك تاك... تيك تاك... تيك تاك....

لا! هذا الصوت مرة أخرى! في كل مرة يصدر، يعقبه شرٌ فوري... نظرت إلى الساعة في حلمي، إذا كانت ساعتي لا تعمل في الواقع، هل قد تعمل هنا؟ لكنّ الساعة في حلمي أيضًا كانت تشير إلى 03:30 ...

لم يكن لديّ وقت لتحليل الساعة، ولماذا تشير إلى هذا الوقت بالتحديد، فقد جذبت انتباهي صرخاتٌ حادّة... الصرخات نفسها التي أيقظتني في هذا الجحيم، لكن هذه المرة، استطعت أن أميز من بينها صرخات طفلة صغيرة. رفعت رأسي عن الساعة ورأيت الفتاة الصغيرة تصرخ بكل قوتها... بدأت علامات زرقاء مخيفة تظهر في كل مكان على جسدها الصغير. كانت تتعرض

CamScanner

للضرب بعنف! لم يكن هناك شك في ذلك، لكن من الفاعل؟ أو بالأحرى، لماذا؟ لم يكن هناك أحد! هل هم الجن الذين جاؤوا للانتقام مني من خلال هذا الملاك الصغير؟

كانت صرخاتها تزداد قوّةً... تزداد شدّةً... كنت مشلولةً من شدة الخوف! من كان يضربها؟ الجن؟ الصبيّان؟ من يريد إيذاء طفلة صغيرة يا لله! ما هذا الحلم الذي تحوّل إلى كابوس...!!! لماذا هذا المكان السّماوي يتحول إلى جحيم؟ المطر الغزير بدأ يزيد من حدة الصرخات، مما أضاف إلى القلق سمفونية من الهلع، أما الخطى، فكانت تقترب أكثر فأكثر، كنت أشعر بها، كان قلبي ينبض بشدّة، لكن... لكن ما الذي يجري يا إلهي؟!

انفجرت الفتاة الصغيرة بالبكاء، كانت على وشك الموت نتيجة الضرب المبرح الذي تعرضت له! لا يمكن لطفلة صغيرة تحمّل مثل هذه القسوة! نظرت إليّ بحزنٍ وكأنها تطلب الرحمة، لكنني لم أستطع فعلَ أي شيء، كنت عاجزة تمامًا، والدموع تسيل على وجهي المتجمد. كان عليّ فعل شيء، كان عليّ...

تيك تاك... تيك تاك... تيك تاك... تيك تاك...!

فتحت عينَيّ فجأةً لأرى مشهدًا مرعبًا! كان هناك شخصٌ يقف أمامي بحذاءٍ أسود، ومن المؤكد أنه لرجل... بينما رأسي لا يزال ملقى على الطين...

@ART_OF_BOOK

CamScanner

سرت قشعريرةٌ من الخوف إلى كامل جسدي، وتلاشى كل أثرٍ للدفء الذي كان قد تخلّلني للتو وحلّ محلّه بردٌ شديد. رفعت نظري ببطء، متفحصةً هذا الجسد الغريب. كان يرتدي ملابس سوداء: بنطالٌ من الجينز وقميصٌ ومعطفٌ ليحمي نفسه من برد المكان... بدا متأنقًا، كأنّه مستعدٌّ لحفل ما، لكن لا وجود له. فقط الظلام يحيط بنا...

لمحت على يده اليسرى ساعة، رفعت نظري إلى وجهه، واتسعت عيناي عند لقاء عينيه...

كان مرعبًا...

ليس بسبب مظهره الخارجي، لا... بل لأنني عاجزةٌ حتى على وصف مظهره بكلمةٍ واحدة! هل هو وسيم؟ قبيح؟ ملامحه ناعمة، عيناه سوداء قاتمة، شفتاه ممتلئة، وشعره الأسود يتدلى على وجهه. يبدو كشيطان، لا بل كملاك، أو بالأحرى هو بينهما، ملاك شيطاني؟ شيطان ملائكي؟ يا إلهي... تبعثرت كلماتي لأجد الوصف المناسب له!

في تلك اللحظة، سحبتني دوامة من المشاعر، وكان الخوف والرعب يسيطران على كياني بأكمله. نظراته تخفي خبثًا فريدًا، شريرًا، وماكرًا... خبث شيطانٍ متنكرٍ في هيئة إنسان.

CamScanner

تبادلنا النظرات لثوانٍ بدت وكأنها أبديّة. كلما حاولت المبادرة بالحديث، كان الخوف يشلّني. ربما كانت غريزتي تحاول حمايتي؟ من نظراته، شعرت أنه مستعدٌّ في أيّة لحظة للهجوم، للاعتداء عليّ، لضربي، لإيذائي...

الطبيعة البرية من حولنا والشاهدة على لقائنا، جعلتني أشعر بعدم الأمان بجانبه. كأنها متواطئة معه، يكفي النظر إلى كيفية احتضانها له، وكيفية منحه مظهرًا أكثر تهديدًا. كانت شريكته في الجريمة، ظله الذي لم يفارقه حتى في الظلام أكد لي مؤامرتهما معًا... أدركت أنني كنت في أرض صيده، وقعت بين يديه وكنت أنا الفريسة المنشودة...

لا أعلم كيف فعلت ذلك، أو من أين أتيت بهذه الشجاعة، لكنني استندت على مرفقي دون أن أقف، خوفًا من القيام بحركةٍ مفاجئة، وجدت نفسي فجأة أتحدث إليه:

- "لماذا؟ همم؟ لماذا قطعت حلمي الجميل؟"

لم يتكرّم بالرد، واستمر في التحديق بي كالشيطان...

- "ما هذا المكان؟ لماذا تبدو وكأنك تنتمي إليه؟ هل أنت من أحضرني إلى هنا؟"

لم ينطق بكلمة، فقط أمال رأسه إلى الجانب الأيمن واستمر في التحديق بي بنظرة متعجرفة ومتكبرة. عيناه لم تفارق عيناي. ماذا يريد منّي؟ لكنني لم أستطع التوقف عن الكلام...

أكملت حديثي له وأنا المس رأسي المصاب وأرى يدي الملطخة بالدماء:

- "هل ترى؟ استيقظت في هذا المكان مصابة، مجروحة، محطّمة. منذ ذلك الحين لم أعرف لا سلامًا ولا راحة. حواسي مضطربة بما يحيط بي، جسدي منهكٌ من العطش والجوع والتعب، روحي تمزقها آلاف الأفكار المتناقضة... أنا ضائعة... قل لي من أنا أرجوك..."

كانت دموعي تتساقط بغزارة. كنت أناشده، ليس لرغبتي في أن يكف عن إيذائي، بل لأحصل على إجابات لأسئلتي بكل صراحة. ومع ذلك، هذا الوغد لم ينطق بحرف! لم يبعد نظره عني، وظل رأسه مائلًا... شعرت بموجة من الغضب تجتاحني... ارتفع صوتي المرتجف دون أن أشعر وكأنّه يُنذر بانفجارٍ وشيك:

- "من أنا؟ ماذا أفعل هنا؟ من أنت بالنسبة لي؟ هل أنت حبيبي؟ عدوّي؟ هل أنت زوجي؟ أخي؟ من أنت؟ أستحلفك بالله أن تجيبني؟!"

نظرات... تلو نظرات...

- "أجبني! أرجوك، قل شيئًا! إن لم..."

اقترب مني بخطوتين، فغرتْ فمي وبقيت أفكاري عالقة، كانت حياتي بين يدي هذا الرجل الشيطاني...

CamScanner

ومرّةً أخرى تقدم بخطوتين نحوي... جثا أمامي بركبةٍ واحدة، وضع إحدى يديه على الأرض والأخرى على ركبته. أغمضت عيناي... لقد حان وقتي... انتهى الأمر... يا إلهي، سامحني!

- "تيك تاك..."

فتحت عيناي بدهشة، كانت عيناه ما زالتا تحدقان بي، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة... وكرر نفس العبارة...

- "تيك تاك... تيك تاك..."

وقبل أن أتمكن من التفوّه بكلمة أو يستوعب عقلي ما جرى، وقف واستدار وغاب في الظلام، تاركًا إياي في حيرة لم أعرف لها مثيلًا.

..

@ART_OF_BOOK

CamScanner

-3-

عتمة اليقين

@ART_OF_BOOK

CamScanner

كنت في حالةٍ من الصدمة جعلتني أقف فاغرة الفاه، وعيناي متسعتان من الهول. لم أستيقظ إلا عندما بدأت زخات المطر تلسع وجهي، تعيدني إلى قسوة الواقع. كم من الوقت مضى؟ ثانية؟ دقيقة؟ ساعة؟ لا أعلم...

كان هو...

كان صوته نفس الصوت الذي طاردني، صدى ذلك الظل الذي لاحقني وضحك على تعاستي في القرية عندما كنت أهرب. كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ شعرت أنني أفقد عقلي؛ أفكاري المنطقية استسلمت أمام جنون هذا المكان. كيف يمكن لظلٍّ أن يتحول إلى إنسان؟ هل كان حقًا إنسيًا؟ جنيًا؟ الشيطان ذاته؟ ثم استخدم نفس "تيك تاك" الذي كنت أسمعه في أحلامي... كيف تمكن من ذلك؟ كيف اخترق عقلي؟

لا... لا... يجب أن أغادر هذا المكان!

ولكن إلى أين؟ العاصفة توشك على الانفجار في أيّة لحظة، المطر لا يتوقف، والرعد يهز السماء، حتى الأشجار العارية من أوراقها تخلت عني وتركتني وحيدة لمواجهة هذه الطبيعة العنيفة. البقاء هنا؟ مستحيل! التقدم؟ إلى أين؟! أجهل عمق هذه الغابة وما يختبئ في أحشائها... قد تكون هناك حيوانات برية، أو جنّ، من يدري ربما الأسوأ... الرجل الذي أسميه الآن الرجل المظلم... لم أكن أعرف ما الذي يريده مني، وهذا ما زاد من حدّة رعبي ...

دقيقة...

لو أراد إيذائي لفعل ذلك عندما كان على بعد خطوتين مني، أليس كذلك؟ كنت حرفيًا تحت رحمته، متسمّرةً في مكاني، عاجزةً عن الدفاع عن نفسي، منهكةً حتى من مجرد التفكير في ذلك، لكنه لم يفعل شيئًا... ربما ليس سيئًا كما أظن؟ ربما...

ما هذا الهراء الذي أتفوه به! كيف يمكنني أن أكون بهذه السذاجة يا الله؟ كأنني لا أدرك أن هناك من يستمتعون بالمطاردة... لا يهتمون بك إلا إذا هربت. الدليل على ذلك، لقد كان يطاردني، يسخر من مخاوفي، وعندما وقفت أمامه ضعيفة وعاجزة، اكتفى بالتحديق بي فقط؟ لا، إنه يلعب، إنه يستمتع بفعل ذلك... لقد عبث براحتي وأرهقني!

أو... ربما أنقذني من ذلك الحلم الذي تحول إلى كابوس؟ دقيقة! الفتاة الصغيرة، ماذا حل بها؟ هل هي بخير؟ أو ربما ماتت جرّاء الضربات العنيفة التي تلقتها، وهو فقط جاء لينقذني أو ربما لينقذنا؟ لأن، في نهاية المطاف...

يا إلهي! عقلي يخرج عن السيطرة، من الأفضل أن أكتم أفكاري، لقد وصلت مرحلة الهذيان! هو ينقذني؟ ألم أرَ ابتسامته الساخرة؟ ألم يجلب معه الخوف؟ هل نسيت أنّ نظراته وخطواته هي التي أدخلت العاصفة والفزع إلى أحلامي؟ ربما هو من كان يضرب الفتاة الصغيرة، ولمَ لا؟ فأنا لا أعرفه، ولا أعرف ما يمكنه فعله...

CamScanner

لا، لا أستطيع التقدم في الغابة والمخاطرة بلقائه أو مواجهة مخلوقاتٍ أخرى مرعبة... صحيح، قد تكون نهاية هذه الغابة الموحشة في هذا الطريق، لكن لا رغبة لي بالمجازفة...

لكن إذا عدت من حيث أتيت، سأواجه المرأة التي صرخت عليّ كأنها مجنونة! لا أعلم إن كانت إنسيّةً أم جنيّة، فكل ما أعلمه أنّ صرختها جمدت دمي حرفيًا... كانت صرخة حادة اخترقت أعماق روحي وعقلي، وكأنها كانت تسعى لإيذائي!

لكن في نفس الوقت، كان هناك العديد من المنازل، يمكنني اللجوء إلى أيٍّ منها لأحتمي من العاصفة ومن تلك الهمسات التي أسمعها هنا وهناك. سأكون في مأمن من مخاوفي وأفكاري السلبية، والأهم من ذلك، سأكون في مأمن من الرجل المظلم... ربما يجدر بي العودة. على الأقل سأجد سقفًا يحميني! أفضّل أن أسلك طريقًا أقل أمانًا، ولكنه مألوف، على طريقٍ قد يبدو سهلًا لكنه شديد الخطورة.

هرعتُ عائدةً بثيابٍ متسخة، وقدمين حافيتين بهما جروح تنزف والصداع يفتك برأسي، علّنيَ أجد مأوىً حتى الصباح. رفعتُ عيناي إلى السماء وعبست فجأة... هل كانت الساعة حقًّا 3:30 صباحًا عندما استيقظت في هذا المكان كما أشارت إلى ذلك ساعتي المكسورة؟ همم... لا، لا أعتقد ذلك. لقد قضيت هنا على الأقل ساعتين أو ثلاث، فإذا كان الوقت كذلك، من

CamScanner

المفترض أن تكون الس... ... تجلى
قسمات النور في السماء...

لكن حتى في حلمي كانت الساعة 3:30 صباحًا! أخخ... لكنه مجرد حلم، لا يعكس الواقع لحسن الحظ! لأنّ صرخات الفتاة الصغيرة ما زالت تتردد في رأسي... كانت صرخات ألم واستغاثة رهيبة... والأمر المرعب أكثر، هو أنّ هذه الصرخات كانت هي نفسها التي سمعتها قبل أن أستيقظ في هذا المكان. ماذا يعني كل ذلك؟ هل كان عقلي يحاول أن يوصل لي رسالة ما؟ هل كانت هذه ذكريات، أوهام، أم أنّ رأسي يخدعني؟ هل هي مجرد كوابيس وأحلام؟ أحاول أن أفهم، لكنني لا أستطيع...

رفعت يدي لأتفحص الساعة المعلقة على عنقي، ربما كان هناك شيء قد غاب عني في خضم اللحظة، لكن لا شيء... لا تفصيلًا جديدًا يضيء لي تساؤلاتي. الساعة لا تزال متوقفةً بشكل غريب عند 03:30. حينها، تذكرت فيلمًا شاهدته من قبل، "The Exorcism of Emily Rose"، وهو فيلم مستوحى من قصة حقيقية لفتاة مسكونة بقوى شيطانية... ما أثار رعبي هو أنها كانت تستيقظ دائمًا في الساعة 3 صباحًا، حيث كانت الشياطين تعذبها بلا رحمة.

يقال إنّ الساعة 3 صباحًا هي ساعة الشيطان، الوقت الذي ينكشف فيه الحجاب بين الواقع والعالم الماورائي. لم أكن أعرف إنْ كان ذلك صحيحًا أم لا، لكنه زاد من مخاوفي... هل أنا ضحية الشياطين؟ هل أواجه خطرًا محدقًا؟

CamScanner

وما زاد الطين بلة هو أنني أتذكر تفاصيل لا تستدعي أن أتذكرها، بينما أعجز عن معرفة هويتي وكيف وصلت إلى هنا... سوف أُجن، إن لم أكن قد فعلت ذلك من الأساس...

تعثري بحجرٍ أثناء المشي جعلني أصحو من غمرة تفكيري... لم أدرك إلا حينها أنني قد مشيت لدقائق معدودة وأنّ طريق العودة أطول بكثيرٍ مما توقعت. أليس هذا طبيعيًا؟ فقد هربت من القرية ركضًا دون أن أجرؤ على النظر خلفي، وها أنا الآن أعود إلى نفس المكان الذي هربت منه. يا لها من سخرية!

بينما كنت أحدث نفسي، لمحت مبنى على يساري. وعندما أدرت رأسي نحوه، رأيت مسجدًا... نعم، مسجدٌ أخفت معالمه الأشجار. لم أكن أحلم! لم ألاحظه بالتأكيد عندما كنت أركض كالمجنونة. شعرت براحةٍ عميقةٍ تسري في قلبي...

شعرت... بالأمان؟

توجهت نحو المبنى لأكشف أسراره، آمِلةً أن أجد فيه مأوى يحميني. تقدمت بحذر بين الأشجار... وعندما وصلت، وقفت أمام المسجد، وكانت عظمته تفرض هيبتها على كل ما حولها. من مسافة قريبة، بدا المكان مهجورًا تمامًا... جدرانه عالية، لكنها مهترئة لدرجة أن الطلاء قد تساقط عنها، كاشفًا الطوب البنائي، ورغم كبره، إلا أنه يحتوي على نافذة واحدة فقط تتوسط أعلى الجدار. كان المشهد غريبًا جدًّا... قمت بجولة حول المبنى للتحقق من

CamScanner

عدم وجود نوافذ أخرى، ووجدته كما هو من كل الجهات، نافذة واحدة فقط، ولا أثر لأي ضوء ينبعث من الداخل.

عدت مجددًا أمام المسجد، حيث لم تسلم حتى السّلالم المؤدية إلى الباب الرئيسي من التهالك... حاولت الصعود ببطءٍ وحذر، خوفًا من أن تتهشم تحت قدماي. لم تكن هناك دعائم تدعمها، أو ربما كانت قد اهترأت هي الأخرى. لم يكن يهمني أن المسجد مهجور، بالنهاية يبقى أكثر الأماكن أمانًا وسكينة. كان الملاذ المناسب للاختباء من سخط تلك الغابة اللعينة...

كان الباب مغلقًا بإحكام... مددت يدي ببطء نحو المقبض، ولكن كل محاولاتي لفتحه باءت بالفشل. بدا وكأنّ الباب يرفض أن أفتحه مهما بذلت من جهد، وشعرت باليأس يتسلل إلى أعماقي. ظل الباب مغلقًا، كما لو كان يتحداني. ماذا لو حاولت أن...

"إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ..."

أصابتني الدهشة عندما سمعت أصواتًا تتردد من داخل المسجد، تتلو آيات من القرآن الكريم، نفس الأصوات التي سمعتها قبل أن أستيقظ في هذا المكان... كانت تتلوا آياتٍ من سورة التوبة بأسلوبٍ قويٍّ أشبه بالصرخات... يا إلهي كدت أختنق! لم تكن مريحة عند استيقاظي، ولم تكن مريحة الآن أيضًا...

CamScanner

كنت مرعوبة!

أعلم أنني لا ينبغي أن أشعر بذلك؛ فالقرآن مصدر للراحة، ولكن التلاوة كانت تثير في داخلي قشعريرة من الخوف. هل كانت تلك الأصوات التي أيقظتني قادمة حقًّا من هذا المسجد؟ لكن من هؤلاء الناس الذين يقرؤون بصوتٍ عالٍ؟ بدأت أطرق الباب على أمل أن يسمحوا لي بالدخول. لا شك أنهم يعرفون هذا المكان أكثر مني، وربما يستطيعون مساعدتي...

- "السلام عليكم! عذرًا على الإزعاج، هل يمكنكم فتح الباب من فضلكم؟"

"ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ..."

- "من فضلكم، المطر يتساقط بغزارة في الخارج، ساعدوني..."

"لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ..."

- "لماذا تتجاهلونني؟ افتحوا الباب.... هل من مجيب؟!"

قلت صارخةً وأنا أطرق الباب بقوّة... وفجأة، توقفت الأصوات وتوقفت معها تلاوة القرآن في لحظة واحدة، وكأنّ شخصًا واحدًا كان يقرأ، رغم أنني كنت أسمع عدة أصوات... لمّا أدركت هذا الشيء، شعرت بجسدي يتجمد

CamScanner

من الخوف! ولكن قبل أن أتمكن من التحرك، سمعت خطوات تقترب من الداخل نحو الباب وتوقفت أمامه... كان هناك شخص خلف الباب، يقف هناك، دون أن يفتحه أو ينطق بكلمة...

كان... فقط... هناك!

استجمعت قواي وطلبت المساعدة مرّةً أخرى، لكنني لم أتلقَّ سوى صمت ثقيل. وبعد عدة دقائق من الانتظار، استدار الشخص وبدأ يمشي بعيدًا عن الباب، وكأنّ شيئًا لم يحدث. عاد الصمت المروع ليخيم على المسجد...

شعرت بالإحباط واجتاحتني موجة من الغضب... كان دمي يغلي في عروقي ودقات قلبي تتسارع مع تساقط المطر... ابتعدت عن الباب، لكن أثناء نزولي الدرج، انزلقت وسقطت، وكأن ذلك صب الزيت على النار ... انفجرت غضبًا وبدأت أصرخ بكل قوتي، تفوّهت بكلماتٍ جنونية، ووجهي موجه نحو السماء:

- "ما الذي فعلته لأستحقّ هذا؟ ما الذي فعلته لأستحق أن أعامل بهذه الطريقة؟!"

كانت الدموع تنهمر على خدي، تدفئ وجهي المتجمد... كنت أهز رأسي كالمجنونة، أمشي ذهابًا وإيابًا، حافية القدمين، فستاني ممزق وركبتاي تنزفان...

- "ألا ترأف بحالي؟ أنت الذي خلقتني يا الله، أنت الذي نفخ فيَ الروح، ألا ترى حالتي؟ أنا مجروحة، منهكة، ضائعة، وتغلق أبوابك في وجهي؟ ألا أستحق رحمتك؟!"

كانت خصلات شعري تنساب على وجهي، فرفعتها بيديّ بغضب، ومسحت دموعي المذروفة بغزارة... شعرت بشرارة الكراهية متوهجة في عيناي، واشتعال النار في قلبي وضمور الألم في روحي...

- "هل تعرف ما يعنيه رفضك لي؟ أشعر وكأنني طفلة مهجورة... كسفينة بلا ميناء، تنجرف بلا هدف في محيط من الوحدة! أشعر وكأنني نغمة بلا لحن، ضائعة في صمت غيابك. كلماتي تختفي في العدم دون أن تصل إلى عرشك السماوي. أين أنت؟ أين يدك المساعدة؟ هل هذا ابتلاء أم مجرد نسيان قاسٍ؟ أعلم أنني لست في الجحيم، فهذا المكان يبدو جنة مقارنة بالجحيم. أعلم أنني لا أحلم، فمشاعري حقيقية للغاية، وألمي حقيقي، والدماء التي أراها لا يمكن أنْ تكون مجرد وهم. فلماذا تضعني في هذا الموقف البغيض؟ إذا لم أكن في جهنم، فلماذا جعلت حياتي جحيمًا؟"

التفتُّ نحو المسجد، عاجزة عن مقاومة الحزن الشديد الذي يعصف بي...

- "لم أعد أستطيع، أنا... لا أستطيع أكثر... كلماتك المقدسة أصبحت ألغازًا لا أفهمها، آياتك لا ترن إلا كصرخات اتهام. ماذا فعلت لأستحق هذا؟!"

CamScanner

وفجأة، سمعت خطوات تقترب من خلفي، فالتفتُّ وفتحت عيناي بدهشة عندما رأيت مجموعة من النساء! كنَّ ستة، جميعهن يرتدين جلبابًا أسود، رؤوسهن محنية، وأيديهن متشابكة على صدورهن، يتمتمْنَ بما بدا لي آيات قرآنية، لكنني لم أتمكن من سماعها بوضوح... كنَّ يتجهن نحو المسجد. كاد قلبي يتوقف من الخوف، من أين أتين؟ نظرت إليهن بفم فاغرٍ وهنَّ يقتربن مني، ولم أستطع منع نفسي من محاولة الحديث إليهن، ربما يمكنهن مساعدتي؟

- "ساعدتني من فضلكن، اسمي دينا... أو بالأحرى أعتقد ذلك... أنا تائهة في هذا المكان، هل يمكنكنّ إخباري أين نحن؟"

يا للأسف لم يعرنني اهتمامًا وكنّ يمشين دون أن ينطقن بكلمة ودون أن يتوقفن عن الهمهمة...

- "لماذا يتجاهلني الجميع؟ لا أفهم! هل تفعلن ذلك عن قصد؟ تبدين متدينات! ألا تعرفن أجر مساعدة الناس؟!"

لكنهن لم يجبن، فصرخت في وجوههنّ قائلةً:

- "أنا أتحدث إليكنّ!"

وبشكل غير متوقع، توقفت إحداهن ونظرت إليّ مباشرة بعينين جعلتاني أتجمد في مكاني، كانت نظرة تهديدية... توقفتُ على الفور عن الكلام، فاستدارت وأكملت المشي مع الأخريات نحو المسجد... وعندما وصلن إلى الباب، فتحت إحداهن المقبض ودخلن بسهولة، نعم، نفس الباب الذي

CamScanner

حاولت فتحه بقوة، فُتِحَ بسهولة ودخلت النساء إلى الظلام، وأغلقن الباب خلفهن.

ماذا يفعلن في هذا الوقت المتأخر؟ وفي الظلام؟ ولماذا استطعن الدخول بسهولة بينما أنا لم أستطع؟

نظرت إلى السماء وابتسمت بحزن، كأنني أقول: "أرأيت؟ كنت على حق، لقد تخليت عني ويجب عليّ الآن أن أكافح لوحدي لاستعادة ذاكرتي، لمعرفة من أحضرني إلى هنا...".

لم أرغب في إهدار المزيد من الوقت في هذا المسجد أندب حظي؛ كان ينبغي أن أعود إلى القرية وأبحث عن مأوى في أحد المنازل. هذا المكان الذي ظننته ملاذًا لأحزاني زاد من معاناتي! بدأت أبتعد عنه بقلبٍ مُثقلٍ أكثر من قبل، وألقيت نظرة أخيرة على المسجد، وفي تلك اللحظة، أضاء البرق المكان ولمحت شيئًا ما بكلّ وضوح ...

كانت هناك!

كانت هناك، يا الله! الفتاة الصغيرة التي رأيتها في حلمي كانت تنظر إليّ من النافذة الوحيدة في المسجد! كانت ترتدي نفس الملابس التي ظهرت بها أول مرة، وبدت كما في الرؤيا، لكنّ جسدها كان مغطى بالكدمات! في نظرتها حزن عميق كأنه يحمل ألف قصة بائسة... كانت تنظر إليّ بعينين مرهقتين، حزينتين ومذعورتين في آنٍ واحد.

CamScanner

لا أستطيع أن أصف كيف يمكن لنظرةٍ واحدة أن تحمل هذا الكم من المشاعر، لكنني شعرت بها بشكلٍ عميق. حاولت التحدث معها، وأشرت لها بالنزول، لكنها كانت تراقبني بصمت، وأحيانًا تنظر خلفها، كما لو كان هناك شخصٌ أو شيء ما يمنعها من الخروج. كان التردد واضحًا على وجهها... أردت أن أطمئنها، أن أسألها إذا كانت بخير، لكن بعد عدة دقائق، استدارت واختفت في الظلام...

عدت إلى باب المسجد وبدأت أطرق الباب مجددًا لكي أبحث عنها وأتحدث معها، لكن لم يكن هناك أيّ ردّ رغم إصراري. نظرت إلى النافذة، لكنها لم تكن هناك... تحطم قلبي لسبب لا أفهمه. مكثت حوالي ساعة كاملة على أمل أن أراها مرةً أخرى، لتخرج وتبقى معي، لكن دون جدوى.

ومع اشتداد العاصفة، وبقلب محطّم، اضطُررت للاستمرار في طريقي إلى القرية. يا ليتني لم أتوقف؛ فقد زاد هذا المكان من همومي وأثار تساؤلاتي أكثر، خاصة بعد رؤية الفتاة الصغيرة. لحظة... النافذة عالية جدًا، كيف استطاعت الفتاة الوصول إليها؟ هل صعدت على سلّم ما؟

أو... محلًا... هل يعقل؟ هل هي حقًّا إنسيّة؟!

غطّت السماء سحبٌ كثيفة وارتعدت الأرض بصاعقة مدوية أيقظتني من تأملاتي... تسارعت خطاي هربًا من العاصفة الوشيكة وتوجهت نحو القرية الملعونة التي استيقظت فيها. ومع تقدّمي، شعرت بأقدام تتبعني في الغابة.

CamScanner

شكون زعما؟! هل يمكن أن يكون الرجل المظلم؟ الفكرة أرعبتني، لكن... أحسست أيضًا بالأمان؟ آه! شعرت بالخجل وكأنني لم أرغب في الاعتراف بذلك حتى لنفسي! أريد أن أخاف منه، الشعور بالخوف غالبًا ما يكون منطقيًا أكثر، فهو يحمينا ويجعلنا نتوخّى الحذر.

تابعت السّير دون النظر إلى الخلف، دون التوقف للتحقق من مصدر تلك الخطوات حتى وصلت إلى القرية...

CamScanner

-4-

وهم الملاذ

@ART_OF_BOOK

CamScanner

بدت كما رأيتها لأول مرة، موحشةً بكل تفاصيلها... شعرت بضيق شديد يكتم على صدري، لكنْ لماذا؟ هل لأنني تذكرت صرخة الجنية المفزعة؟ أم أن مظهر القرية القاسي هو ما أثر في نفسي؟

كانت عشرة منازل تقريبًا متناثرة بشكلٍ غير منتظم، كأنّها قطع شطرنج مبعثرةٍ على رقعة من الطين... ثم برزت أمامي مدرسة متهالكة لم تقع عليها عيناي أول مرة، وإلى جانبها بقالة متداعية تحمل لافتة متآكلة مكتوب عليها "محل الحومة".

توجهت نحو البقالة لعلني أجد طعامًا يسد جوعي... كانت ضيقة بالكاد تتسع لشخصين، ومكتظة بالمنتجات التي شاخت على الرفوف. عبوات متهالكة غلفها غبار الزمن، أسماء المنتجات بالكاد تُقرأ تحمل عبق الماضي: "فلان نوارة"، زجاجة ليمونادة "حمود بوعلام"، لوح شوكولاتة بكتابةٍ ممحية "أومباسا...".

على الرغم من انتهاء صلاحيتها، إلّا أنني شعرت براحةٍ غريبةٍ عند رؤية هذه العلامات التجارية، كأنّها تربطني بذكرى بعيدة... ارتسمت ابتسامةٌ صغيرةٌ على وجهي وأحسست بحنين في قلبي، لكن العاصفة سرعان ما سلبت سلام هذه اللحظة الوجيزة...

لم يعد هناك أيّ مجال للشّك، فقد انفجرت العاصفة بكلّ قوتها الجبارة! كان صفير الرياح مثل صرخاتٍ قويّة... أمّا المطر، فقد انهمر بغزارة كأنّ السماء تلقي بشفراتٍ حادة تتساقط بلا رحمة... الرعد والبرق انضما إلى هذا

CamScanner

المشهد المروع، ممّا زاد الرعب شدّة في هذه القرية المهجورة، كأنّ سكانها فرّوا من وباءٍ أو عدوٍّ مميت...

خرجت من البقالة وركضت دون تفكير نحو أول منزل رأيته. لحسن حظي، كان الباب مفتوحًا...

دخلت وأغلقت الباب بإحكام محاولةً عزل الرياح الباردة والصقيع القارس عن ملاذي المؤقت حتى بزوغ الصباح. كنت أبحث عن الأمان، لكنّ قلبي كان يخفق بشدّة، كأنّه ينبئني بأنّ الرعب لم ينتهِ بعد...

أدرت رأسي لتفقّد المنزل، وإذا بالأكسجين يغادر رئتي دفعةً واحدة! اتسعت عيناي وفتحت فمي من هول المكان. كان المنزل في حالة كارثية، وبقع الدم متناثرة في كل مكان على الأرض... كيف حدث كل هذا؟ كان المنزل يبدو مهجورًا، فمن أين أتى هذا الدم الذي يبدو طازجًا ولزجًا؟

وضعت يدي على مقبض الباب لأفتحه وأهرب، ولكنْ إلى أين؟ خاصّة أنني قد أُقذف بعيدًا مع هذه العاصفة.

ازدردت ريقي وخطوت بحذر وتردد... أضأت النور، وفجأة انبعث ضوء أصفر خافت يشتعل تارةً وينطفئ تارةً أخرى، لكنّه كان أفضل من العتمة الكاملة. تقدمت ببطءٍ نحو مكان يبدو أنه الصالون محاولةً قدر الإمكان تجنب الدوس على بقع الدم بينما أستكشف المكان.

CamScanner

أثاثٌ متداعٍ، عفنٌ في كل مكان، آثار لكمات على الجدران... هكذا كان الصالون. وبجانبه كانت غرفتان... كنت آمل أن تكونا في حالة أفضل، لكن يا للأسف، لم يكن الأمر كذلك... إحداهما بدت كغرفة للأطفال، ربما عددهم ثلاثة، كان هناك سرير بطابقين وسرير صغير لرضيع. أما الغرفة الثانية، فكانت على الأرجح غرفة الوالدين، يتوسطها سرير كبير ونافذة فوقه وجدتها مفتوحةً، فركضت لأغلقها...

كان المطبخ مفتوحًا على الصالون وبالقرب منه يوجد الحمّام. توجهت إليه بحثًا عن بعض الماء لتنظيف نفسي، فقد شعرت بالقذارة تغطي جسدي المتعب. عند دخولي، استقبلتني المرآة بانعكاس مرعبٍ لدرجة أنني قفزت من الدهشة، كأنني غريبة عن نفسي، غريبة عن هذا الانعكاس....

كانت ملامحي مشوّهة، وجُرح رأسي ملوّث، تحسست كدمةً غريبةً على رقبتي... فستاني الأبيض الذي كان نظيفًا عند استيقاظي تحوّل إلى لون الوحل الأسود... نظرت إلى قدماي فوجدتهما متضررتين بالجروح والدماء...

تساءلت بحيرة، إلى متى يمكنني تحمّل هذا العذاب؟ إلى متى سيقاوم جسدي؟! حاولت فتح الصنبور لتنظيف جسمي، لكن دون جدوى، لم تسقط قطرة ماءٍ واحدة... لا شيء... والو! نظرت إلى نفسي في المرآة للمرة الأخيرة وسالت دمعة على خدّي...

شعرت بحزنٍ عميق، لم أكن سوى مظهر، لم أكن سوى خراب، ماذا فعلوا بي؟ شعورٌ غريبٌ بدأ يولد في أعماقي... شعورٌ جعل ملامح وجهي منهكة،

CamScanner

كأنني انتقلت من العشرين إلى السّتين في لحظة... حدثتني نفسي، ما هذا الإحساس الذي يمزق روحي؟!

الشفقة... نعم، كنت أشعر بالشفقة تجاه نفسي... لكن فجأة، ملامحي أصبحت قاتمة، انعقد حاجباي بغضب، واشتعلت النار في عيناي... سمعت نفسي أصرخ بصوتٍ عالٍ:

- "لا! أرفض أن... أترك نفسي للشفقة. من قال إنّني لم أفعل شيئًا فظيعًا؟ من قال إنّني لم أؤذِ الآخرين؟ هل أنا الضّحية أم المعتدية؟ هل أنا السّلام أم الفوضى؟ لا يمكنني أن أشفق على نفسي، لا أعلم حتى إذا كنت أستحقها..."
- "هاهاها، ولكن ما هي 'الشفقة' على أيّ حال؟ شعور، فكرة من بين الأفكار الأخرى، نظريّة سخيفة؟"
- "وما الذي يتغير إن طرحت كل هذه الأسئلة؟ أظل أفكر وأفكر، ماذا جلب لي هذا التفكير بالله، هاه؟ أشعر بأنني أزداد بؤسًا وتيهًا في كل مرة أحاول التفكير. أليست الفكرة هي مفتاح كل الإجابات والراحة لكل الآلام؟ ليس في حالتي!"
- "اللعنة على النظريّات، اللعنة على الأفكار! اللعنة على الفلاسفة والمفكّرين الذين لا يساعدونني على فهم هذه المعاناة... هاهاها، يظنّون أنهم قادرون على سبر أغوار الإنسان! واثقون تمام الثقة

بأنفسهم، يطلقون نظرياتهم كأنها حقائق كونيّة ثابتة! لكنهم بعيدون كل البعد عن إدراك ما أعيشه في هذه اللحظة!

(ضربت المرآة بيدي فتحطّمت...)

- "نعم، أنتم جميعًا... لم تفهموا شيئًا! نظرياتكم، فلسفاتكم بعيدةٌ كل البعد عن الواقع! الواقع هو هذا! إنّه أنا... هنا... الآن، في هذا الانهيار، هذه المعاناة!"
- "تتحدثون عن الروح، الوعي، لكن انظروا إليّ! أنا هنا، مكسورة، ضائعة... وتجرؤون على الادعاء بفهم الروح البشرية؟! كلماتكم فارغة، مفاهيمكم بلا حياة! الواقع هو هذا الدم، هذه الدموع، هذا الألم الذي لا يُحتمل... هذه هي الحقيقة! أنا الحقيقة التي تُعرّي غباءكم وتناقضكم! أنتم تتلذذون في صالوناتكم، محاطين بكتبٍ ونظريات مترية بينما أنا أواجه قسوة الوجود، الحقيقة!"

(ضربةٌ أخرى...)

- "أتحداك يا عزيزي ديكارت بمقولتك اللعينة 'أنا أفكر إذًا أنا موجود'، هل تعتقد حقًّا أنّ التفكير يكفي لإثبات الوجود؟ انظر إليّ! أفكاري تهدم رأسي، ومع ذلك أنا لست سوى شبح، سوى ظلٍّ حقير... ما معنى 'الوجود' بالنسبة لك أصلًا؟! لأنّ الوجود بدون هدف، بدون جوهر هو تعذيب! لا فائدة 'للوجود' عندما تقتله الفكرة

وتحتقره! لا، لا، لا! أفكاري، بدلًا من إثبات وجودي، تدمره وتفنيه!"

(ضربةٌ أخرى)

- "تعتقد أنّني نسيتك، يا هيجل، بفلسفتك 'جدليّة الروح'... تعتقد حقًّا أنّ الروح تتقدم من خلال تجاوز الصراعات بين الأفكار المتعارضة؟ انظر إليّ! أفكاري في صراعٍ دائم، ومع ذلك، لا أشعر بأيّ تقدم، أيّ تكامل... هذه العملية الجدلية التي تعتز بها كثيرًا، يُفترض أنْ تؤدي إلى فهم أعمق... إلى تطور الروح. لكنْ، كل ما أشعر به هو اليأس! أين هو هذا التقدم الموعود يا هذا! أين هو هذا الفهم الأعمق الذي يُفترض أن ينبثق من هذا الصراع المستمر؟ هاهاها.... جدليّتك ليست سوى وهم!"

(ضربةٌ أخرى)

- "أنت، نيتشه، بمقولتك 'كن ما أنت عليه'، يا لوقاحتك! كيف يمكنني أن أصبح شيئًا بينما كلّ تأمل يبعدني عن نفسي أكثر؟ تتحدث عن التخلّق الذاتي والأصالة، لكن ماذا أفعل عندما تجعلني كل محاولة لفهم نفسي أكثر تشتتًا؟ كيف يمكنني أن أخلق هويتي عندما لا أستطيع حتى تجميع الأجزاء المتناثرة من وجودي؟! أخبرني يا مفكّر، كيف يمكنني أن أصبح ما أنا عليه بينما أنا لست متأكدة حتى مما يفترض أن أكونه؟"

- "الفلاسفة؟ حقًّا؟! هاهاها، وأقوالهم أيضًا؟ في موقفٍ كهذا؟ هل عقلي يلعب معي لعبةً ما؟ ألن يُنار هذا الأخير و يخبرني من أكون؟ أرتاح أنا من الدوامة التي أعيشها و يرتاح هو من الأفكار و الأشياء الغريبة التي يتذكرها..."

كنت في حالةٍ هيستيريّة، يداي تنزفان بسبب الضربات التي وجهتها للمرآة... صدري يرتفع وينخفض بسرعةٍ جنونيّةٍ بنفس إيقاع تنفّسي العشوائي... رأسي وبطني كانا على وشك الانفجار من شدّة الألم... نظرت إلى ما تبقى من المرآة المكسورة التي عكست أخيرًا حالتي النفسية الحقيقية المحطّمة وقلت في النهاية:

- "اللعنة عليك! انظري إلى نفسك... ما يجب أن تشعري به ليس الشفقة، بل الاشمئزاز!"

خرجت من الحمّام وأنا في حالةٍ أسوأ مما كنت عليه عند دخولي وأغلقت الباب خلفي بعناية، كأنني أحاول نسيان ما حدث للتوّ...

تقدّمت بضع خطواتٍ فقط حتى لفت انتباهي جدارٌ على يميني بدا وكأنه قد تعرّض لحريق. كانت هناك صورٌ قديمةٌ معلقة على الجدار في إطارات خشبية متضررة بدت وكأنّها صورٌ عائلية. توقّفت وأخذت أتفحّصها؛ على الأقل كان ذلك يلهيني عن التفكير في تلك النّوبة التي مزقتني...

CamScanner

أثناء تفحّصي للصور، بدأت ضربات قلبي تهدأ تدريجيًا. كان الأمر محيرًا: أرى أشخاصًا في الصور، لكن لم أتمكن من تمييز ملامح وجوههم بوضوح. فقد كانت الصور قديمة جدًّا. في معظم الصور، كان هناك رجل يبدو في الخمسينات من عمره، يرتدي سراويل واسعةً وقمصانًا غير مكويّة. بجانبه، تقف امرأة ترتدي الحجاب، وإلى جانبها ثلاثة أطفال... بالنظر إلى أجسامهم، يبدو أنّهم ولدان وبنت صغيرة يرتدون ملابس جميلة كأنّ الصورة التقطت في عيد الفطر. لا أعرف لماذا، لكنني بدأت أتخيّل ابتساماتهم وسعادتهم، على الرغم من أنّني لم أتمكن من رؤية وجوههم بوضوح...

ما لفت انتباهي، هو أنّ الصور كانت تزداد ظُلمةً مع كلّ نظرة. ليس بسبب جودة الصورة، لا، ولكنْ بسبب الأجواء التي تنقلها. في إحدى الصور، بدا المنزل في حالة جيّدة، ولغة جسد الأسرة كانت تظهر تماسكًا ملحوظًا... كانوا جميعًا قريبين من بعضهم البعض؛ الأطفال يمسكون أيدي بعضهم، والوالدان كانا متقاربين بشكلٍ جميل...

لكنْ كلما تفحصت الصّور الأخرى، لاحظت تغيرًا تدريجيًا. بدأ الوالدان بالابتعاد عن بعضهما البعض، والأطفال يتفرّقون ببطء، كأنّهم في حالة حذر وترقب. التحول التدريجي في الصور أصابني بقشعريرة...

توقّفت أمام صورة بدت لي الأكثر ظلمة... قلبتها ببطء بين يداي ونفضت الغبار المتراكم عليها، وجدت جملةً مكتوبةً عليها:

"حين تلتقي الأضداد، ينكشف القناع ويظهر الوجه الخفيّ للقدر."

وبينما كنت أفكر في تلك الجملة الغامضة، سمعت همسات قادمة من الحمّام سرعان ما أخرجتني من شرودي... كأنّ حوارًا يدور بين شخصين في نفس الحمّام الذي كنت فيه قبل دقائق... من أين أتوا والنافذة مغلقة؟ ما الذي يحدث يا الله! استطعت تمييز صوتين، أحدهما لامرأة والآخر لرجل، لكنّ صوت الرجل كان الأكثر وضوحًا:

- "ماتفهميش واش قلتلك؟ والله نحرق..."
- "هكذا تتعلمي بلي..."
- "خايفة..."

شعرت بالرعب يجتاحني، ويدي المصابة ترتجف بشكلٍ متزايد، أعصابي كانت على وشك الانهيار! كيف دخلوا هنا؟ هذا مستحيل، لا يمكن أن يكونوا بشرًا... مستحيل! الكلمات التي كنت أسمعها كانت متقطعة وغير مفهومة، لذا قررت الاقتراب من الباب ببطءٍ لألتقط السمع بشكلٍ أفضل...

لكنْ، كلّما تقدمت تباعدت الهمسات... كلّما تراجعت، زادت الهمسات... كان الأمر يتحدّى كل منطق!

كنت على بعد خطوة من الحمّام، وضعت أذني بهدوء على الباب لأستمع...

(بوم)

ضربَ شيء ما أو شخص ما الباب بقوّة لدرجة أن أذني بدأت تُصفّر ممّا زاد من حدّة الصداع. كنت مرعوبة مما حدث للتو، توقعت أن يُفتح الباب

CamScanner

ويخرج أحد ليقتلني! وبينما كنت أبتعد ببطءٍ عن مصدر هذا الصوت التوري دون أن أشيح بنظري عن الباب، شعرت بنفَسٍ ساخنٍ يلامس أذني، تلاه صوت امرأة تبكي بهدوء، كان قريبًا جدًّا لدرجة أنني شعرت وكأنّه في رأسي...

دقيقة... لم تكن تبكي فقط، بل كانت تتنهّد بعمق، كانت تتألم يا إلهي! لم أسمع هذا الصوت من قبل في هذا المكان، لم يكن مألوفًا لي. من تكون هذه المرأة؟ أو هذا الكيان؟ لم أجرؤ على الالتفات، لم أجرؤ على مواجهتها، فقد...

(هاهاها)

انبعثت من الحمّام ضحكة شيطانية جعلت شعري يقف خوفًا! صوت المرأة خلفي لم يتوقف، وضحكة الرجل القادمة من الحمّام زادت من توتّري. هل يمكن أن يكون الرجل المظلم؟ لا، كنت سأتعرف على ضحكته وصوته حتى ولو على بُعد كيلومترات! كان هذا صوتًا جديدًا، مقلقًا أكثر من صوت الرجل المظلم... أردت أن أتشجع وألتفت لمواجهة هذا الكيان، لكن لم أستطع. شعرت بتسارع ضربات قلبي تزامنًا مع قوة الضحكة المتزايدة... كل ما حولي كان يبدو غريبًا، بدأت أرى الأشياء بشكلٍ غير واضح. وفجأة، توقفت الضحكة...

سمعت باب الحمّام يُفتح ببطء...

CamScanner

رغم أنّ جسدي فقد توازنه ورؤيتي أصبحت غير واضحةٍ بشكلٍ متزايد، ظهر لي شخصٌ ما... لا، شيءٌ ما؟! كيانٌ بلا وجه، شيطان؟! ملامح وجهه كانت ممسوحة، والشيء الوحيد الذي كان واضحًا هو عيناه الحمراوان المتوهجتان كالنار تحدقان بي بغضب...

وبينما كنت أحاول استجماع قواي، كان صداع رأسي يزداد حدّةً وصوت المرأة لا يزال يتردّد في أذني، ممّا جعل الجو خانقًا! كان ينظر إلي... دون أن يتكلم... دون أن يتحرك... كان عليّ أنْ أفعل شيئًا، أنْ أقول شيئًا للتخلص منه، فحاولت أنْ أجد ملاذًا في آيات القرآن الكريم:

- "...اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ..."

ولكن فجأة، اقترب منّي في غمضة عين، واجهني على بعد سنتيمترات من وجهي... شعرت بأنفاسه الحارة الكريهة، وعيناه المشتعلتان بالنّار تحدقان في عيناي كأنهما تتغلغلان في روحي، ثم صاح في وجهي:

- "لا شيء يمكن أن يحميك مني... لا شيء!"

كان غاضبًا للغاية! لكن التفكير في كلماته كان مستحيلًا، إذ تلاشت كل طاقةٍ في جسدي فجأة... وفقدت الوعي...

لم أدرك كم من الوقت مضى وأنا مغمى عليّ على الأرض، فقد فقدت كل إحساس بالزمن... لم أرَ أحلامًا، كأنّ جسدي وعقلي انطفآ في لحظةٍ واحدة،

CamScanner

وكأنّهما لم يعودا قادرين على تحمّل وجود ذلك الكيان أمامي... فجأة، صاعقة هائلة أيقظت حواسي وأجبرتني على فتح عيناي...

دون تردّد، هرعت نحو الباب هاربة من هذا الجحيم! لكن، بمجرّد أن فتحته هبّت عاصفةٌ هوجاء بعنف كادت تقتلع الباب من مكانه، ودُفعت بقوة إلى الخلف، حتى اهتزّ الجدار الذي اصطدمت به. تطاير شعري في الهواء وتغيرت ملامح وجهي بفعل الرّياح الشّديدة. كان عليّ أن أغلق الباب... تقدمت ببطء، متمسكة بالجدار المؤدي إليه... وبعد صراع طويل مع الرياح، تمكنت أخيرًا من إغلاقه...

لم أستطع الهروب من هذا الجحيم... أوهمت نفسي بأنّ ما عشته ربما كان بسبب الإرهاق. إذا لم آكل شيئًا، فسأفقد وعيي مرة أخرى. سواء أكان ما رأيته حقيقيًا أم لا، الشّيء المؤكّد هو أنّ جوعي ساهم في تضخيم مشاعري وجعل جسدي ضعيفًا.

بخطوات حذرة ومترددة، تفقدت الحمّام والمنزل للتأكد من عدم وجود أحدٍ هناك قبل أن أتوجه إلى المطبخ. بدأت أبحث في كل مكان، في الأدراج، على الرفوف. لكن كل ما وجدته كانت أطعمةٌ منتهية الصلاحية منذ التسعينات... التاريخ لفت انتباهي، لكن في أيّ عام نحن؟ لم تكن لديّ أيّة فكرة، وهذا ما زاد من قلقي. رغم ذلك، عثرت على لوحٍ صغير من الشوكولاتة بين كل المنتجات المقرفة التي بقيت... لم يكن يبدو شهيًا، لكن لم يكن لديّ خِيار آخر. فتحته وقضمت منه وتبسمت لبشاعة طعمه...

وبينما كنت أمضغ الشوكولاتة ببطء، بدأت أتجول في الصالون. كنت عالقة في هذا المكان المحاط بالعاصفة، وكان عليّ أن أقتل الوقت. لفت انتباهي مكتب في الزاوية اليسرى من الصالون فتوجهت نحوه ووجدت العديد من الأوراق والكتب المتناثرة هنا وهناك... وجدت القرآن الكريم الّذي لم أتمكن من لمسه لأنّني لم أكن طاهرة.

لم أستطع منع نفسي من التّفكير في المسجد، في الجنية التي قالت إنّ إيماني كان نفاقًا، في الكيان شبه البشري الذي قال لي عندما كنت أقرأ القرآن بأنّ لا شيء يمكن أن ينقذني. شعرت بحزنٍ عميقٍ يسيطر على قلبي... حاولت طرد هذا الحزن بالتركيز على كتبٍ أخرى لم يكن لي أيّ اهتمام بها، وفجأةً سقطت من بين الكتب ورقة لفتت انتباهي، كُتبت عليها جملة كررتها بصوتٍ عالٍ:

- "الظّلام هو الحارس الأخير للأسرار التي تضيء دروب الفهم."

ماذا تعني هذه الكلمات؟ لماذا الظلام الذي يمثل الخوف والغموض يعتبر حارسًا للأسرار؟ هل يمكن أن يكون هناك معنى أعمق خلف هذه العبارة؟ كلّما فكرت في الأمر، ازداد ارتباكي. ثمّ تذكرت الجملة الأخرى التي قرأتها خلف الصورة العائلية:

"حين تلتقي الأضداد، ينكشف القناع ويظهر الوجه الخفي للقدر."

CamScanner

ماذا تعني هذه العبارة؟ ربما تشير إلى أنّ الحقيقة تظهر عندما تتواجه القوى المتناقضة؟ هل هذا يعني أنّ الفهم الحقيقي للأشياء يتطلب مواجهة المخاوف والتحديات التي قد تبدو متناقضة في البداية؟

كلما تعمقت في هذه الكلمات، شعرت بأنها تحتوي على رسالة خفية؛ ربما تكون تلميحًا للبحث عن الحقيقة في الأماكن التي لا أتوقعها. آخخ، هذه العبارات لم تُساعدني في فهم حالتي... ربما، وبكل بساطة، لم تكن موجهة لي؟ لست متأكدة... فكلّ ما أعلمه هو أنّني طالما بقيت في هذا المنزل، يجب أن أستغل الوقت للنوم، فقد شعرت بجسدي يزداد ضعفه تدريجيًّا... إذا كنت أريد اكتشاف الحقيقة، فلن أتمكن من ذلك وأنا متعبة.

دخلت غرفة الوالدين وأغلقت الباب خلفي. اقتربت من السرير الذي كان يتوسط الغرفة وألقيت نظرةً سريعةً على النافذة المتواجدة فوقه. كان الطقس في الخارج سيئًا للغاية، وكل ما كنت أتمنّاه هو ألّا تسقط شجرةٌ على النافذة وتكسرها. استلقيت على السرير وغفوت على الفور...

عيونٌ مظلمة، فمٌ مألوف، وجه...

كان وجهه، وجه الرجل المظلم... لقد تمكن من التسلل إلى حلمي... ربما لأنه لم يتمكن من دخول المنزل؟ كان يبتسم في الحلم ويقترب مني. وكلما اقترب، كلما غمرتني رائحته الساحرة. كيف يمكنني أن أشعر بعطره وأنا أحلم؟ كان ينظر في عيناي، ولأول مرة لم أخف منه، بل شعرت بنوعٍ من الطمأنينة... كأنني اعتدت على وجوده؟ كلما اقترب، كلما شعرت بأنني أعود إلى الواقع...

خطوة نحوي... خطوة نحو الواقع...

فتحت عيناي على صرخاتٍ قويّة، وبدأ إيقاع قلبي يتسارع مشيرًا لخطر وشيك. ما الذي يحدث؟! كان الصوت المرعب لشخصٍ يحطم الأثاث في الصالون يملأ المكان بقوة! جلست على حافة السرير، وكنت أمسك بالفراش بشدّة حتى اعتقدت أنه سيتمزق. وسط الصرخات، تمكنت من تمييز صوت المرأة التي كانت تتألم سابقًا، لكن هذه المرة كانت تصرخ بشدّة. تداخل صوتها مع صوت رجل، نفس الصوت الذي كان يضحك في الحمّام، يصرخ ويلقي بالشتائم! بدا وكأنه يضرب المرأة وشخصًا آخر معها، إذ كان هناك صوت ثالث يبكي، لكنني لم أستطع وصفه، كان... مميزًا...

من كان الشخص الثالث يا إلهي؟ ضربات الرجل كانت تزداد قوة...

جمعت شتات شجاعتي للنهوضِ من السرير والتوجه ببطءٍ نحو الباب لإغلاقه بالمفتاح... كان الخوف يسيطر عليّ، أخشى دخولهم عليّ لإيذائي، فقد كانت صرخاتهم تبدو واقعيّة بشكل مخيف. لم أكن أحلم، ولم يكن كابوسًا، كنت مستيقظة، ومرعوبة! لم يكن الباب يبعد عني سوى بخطواتٍ قليلة عندما سمعت فجأة خطوات تتسارع نحو الغرفة التي أقبع فيها، وضُرب الباب بقوة حتى انخلع من مكانه! جلست على ركبتيّ... أغمضت عيناي... ووضعت يداي على أذني وصرخت كما لم أفعل من قبل!

كانت صرخة رعب، صرخة استسلام، الصرخة التي قد يصدرها شخص يستعد للموت... كنت أنتظر الضربة القاضية!

CamScanner

لكن لا شيء... الصمت فقط...

فتحت عيناي، لكن لم يكن هناك أحد... نهضت وخرجت من الغرفة، فلم أعد أرغب في الهروب، لقد سئمت من ذلك! ما هذا يا رباه؟! ربما أنا في منزلٍ مسكون، ربما الأشخاص الذين سمعتهم كانوا أفراد الأسرة الذين عاشوا في هذا المنزل... لا، هذا مستحيل! في الإسلام لا يوجد أشباح! عندما يموت الإنسان لا يعود إلى الأرض على شكل شبح، إنّهم جنّ! لقد اتخذوا هذا المنزل مكانًا لهم بعد أنْ فر السكان الحقيقيون لسبب لا أعلمه!

خرجت إلى الصالة لكن لم يكن هناك أحد... كان هناك فقط أثاث محطم والمزيد من الدم اللزج على الأرض. كيف حدث كل ذلك؟

بدأت أصرخ! صحيحٌ أنّ المنزل لم يكن لي، لكنهم أفسدوا لحظتي الوحيدة من الهدوء... فخاطبت الفراغ متوسلة:

- "لا أعلم ما الذي تفعلونه أو ما الذي تريدونه! لا أعلم حتى من أنتم! لكن أرجوكم، اتركوني وشأني... سأغادر في الصباح عندما تهدأ العاصفة. لا أريد أن أزعجكم، لكن أرجوكم، لا تؤذوني، دعوني أتنفس!"

لا أعلم ماذا كنت أتوقع بالضبط، لكن أعترف أنني كنت محبطةً بسبب عدم الحصول على أيّ رد. لم تنطفئ الأضواء فجأة ولم تومض كما في الأفلام، لم يُغلق أيّ باب، لم تكن هناك أيّة علامة...

CamScanner

دخلت إلى الغرفة مرّةً أخرى على أمل أن أرى من خلال النافذة أي شيء يشير إلى بزوغ الفجر، لكن لا شيء... استلقيت على السرير وأنا أبكي... لم تكن مجرد دموع حزن، بل غضب أيضًا! كنت غاضبة من هذا المنزل، من هذا المكان! وللمرة الأولى، لم أنم من التعب، بل من الغضب...

بدأ صوت العاصفة يبتعد عن حواسي كلما غرقت في النوم. لم أعد أشعر بشيء سوى دموعي التي تنهمر على خدي وتستقر على صدري، وكأنها تريدني أن أبقى مستيقظة وأحتضن غضبي. لكنّ النوم تغلب على جسدي وروحي...

بعد لحظاتٍ قليلة، شعرت بشخصٍ يضع يده على كتفي ويهزني. في البداية، كانت الهزات لطيفة، لكن عندما لم أتحرك أو أفتح عيناي لاعتقادي أنني أحلم، أصبحت الهزات أكثر إلحاحًا، لكنها لم تكن قوية...

عبست ولم أفتح عيناي، رافضة أن أسمح لهذا الكابوس بأن يفسد لحظة الراحة التي كنت فيها... كنت على وشك الغرق في النوم مرّةً أخرى، لكن فجأة شعرت بقطرات تتساقط على وجهي، كما لو كان هناك شخص ما ينحني فوقي. ثم شعرت بيدٍ قوية قبضت على كتفي وهزتني بعنف! فتحت عيناي ووجدت نفسي وجهًا لوجه مع الفتاة الصغيرة من حلمي، تلك التي رأيتها مرة أخرى في المسجد! كانت تبدو مرعوبة، تنظر إليّ بعينين خائفتين، وأدركت أنّ القطرات التي سقطت عليّ كانت من عرقها... صرخت بكل قوتها:

- "أنقذيني، أنقذيني أرجوكِ، لقد جاءت لأجلي، إنّها هنا لأجلي..."

CamScanner

نظرت إليها مشتتة، ثم قلت لها:

- "اهدئي، أنا هنا! من هي؟ من يريد أن يؤذيك؟!"

أجابتني وكلها خوف:

- "الجنيّة الغاضبة... تريد أن تؤذيني! احميني، أنا خائفة!"

لفتت انتباهي الكدمات التي غطت جسدها. لقد رأيتها في المسجد، لكن رؤيتها عن قرب كانت مروعة! من يمكنه أن يفعل ذلك لطفلة؟ كانت ترتدي ملابس ممزقة، وكان المشهد مؤلمًا للغاية... 'الجنية الغاضبة'؟ هل هي نفس الجنيّة التي صرخت في وجهي عندما استيقظت هنا لأول مرة؟ هل هي من ضربتها في حلمي؟ سألتها:

- "أيّة جنيّة؟ أين والديك؟ أخبريني حتى آخذك إليهم. ما اسمك؟"

لكن قبل أن أكمل جملتي، هزتني وهي تصرخ:

- "أنتِ لا تفهمين، ليس لدينا وقت! ستكون هنا في أيّة لحظة، يجب أن..."

قبل أن تنهي جملتها، سمعنا ضرباتٍ قويّةً تهز الباب الرئيسي للمنزل، فاقتربت الطفلة مني أكثر ولم أستطع منع نفسي من ضمها إليّ. الضربات استمرت وجعلت المنزل كله يهتز، فصرختُ:

- "اذهبوا! اتركونا وشأننا! أنتم تخيفون الطفلة، إنّها مجرد طفلة! ارحلوا!"

توقفت الضربات فجأة! نظرت الطفلة إليّ بعينيها كأنها شعرت ببعض الراحة، كأن...

قبل أن نتنفس الصعداء، غطتنا شظايا الزجاج وبرزت يد مرعبة من العدم وأمسكت الطفلة بقوّة محاولةً إخراجها من النافذة! لكنني تمكنت من الإمساك بيدها الأخرى وجذبتها نحوي... في تلك اللحظة، رفعتِ رأسي لأرى ضد من كنتِ أحمي الطفلة، ضد من كنت أقاتل، وأصبت بالذعر!

كانت هناك، خلف النافذة...

كانت تبدو كأنها امرأة، لكنها ليست كأيّة امرأة... لا! كانت محترقة بشدّة، حتى أنّ عروقها بدت واضحة، وقطعٌ من جلدها كانت تمتزج بالدماء والحروق. وجهها كان مشوّهًا، محترقًا، لكن لم يكن متفحمًا بالكامل... نصف شعرها فقط كان موجودًا، بينما النصف الآخر قد التهمته النار. لم تكن ترتدِ شيئًا، ولكن الحروق كانت عميقة لدرجةٍ أخفت تفاصيل جسدها. المشهد كان أشبه بكابوس من فيلم رعب، وحش حقيقيٌّ يبعث الفزع في كلّ من يراه.

نظرت إليها، شعرت وكأنّ الدم تجمّد في عروقي. لكنّ صرخات الطفلة أيقظتني من حالة الصدمة كما لو أنها صفعتني! قاتلت خوفي وبدأت أسحب الطفلة نحوي، لكنّ الجنيّة كانت قوية بشكل لا يصدق! ولم أدرك أنني أعرف

CamScanner

@ART_OF_BOOK

-5-

غموض العاطفة

CamScanner

أدركت أنّنا قد ابتعدنا عن القريه كثيرا وان العاصفه قد هدات، رغم انّ المطر لم يتوقف كليًا... نظرت حولي لأبحث عن مكانٍ للاختباء، لكن لم أجد شيئًا، فقط الغابة. هذه الغابة اللعينة مجددًا! بدأت أعتقد حقًّا أنّ لا مفر لي من هذا المصير، وكانت هذه الفكرة تثير في قلبي لهيب الغضب.

كنت متعبة وأدركت أنني لا أستطيع الابتعاد أكثر، توقفت لبرهة ووضعت الطفلة على الأرض، لكنها لم ترغب في ترك يداي... جثوت على ركبتيّ لأكون في مستوى نظرها وابتسمت لها. رسمت ابتسامة بريئة على وجهها الطفولي، فشعرت بدفء في قلبي. كنت أتوق للتحدث معها، فقد تكون لديها إجابات على أسئلتي... قطعت الصمت وقلت:

- "هل تشعرين بتحسن؟ لا تخافي، أنا هنا لحمايتك..."

اختفت ابتسامتها بنفس السرعة التي ظهرت بها ولم تجبني...

- "ماذا تفعلين هنا وحدك؟ أين عائلتك؟ هل أنتِ ضائعة؟"

لم تجبني...

- "هل تعرفين على الأقل أين نحن؟ لقد استيقظت في هذا المكان، لكنني لا أتذكر شيئًا عن نفسي أو كيف وصلت إلى هنا... "

رمقتني باستغراب، ثم سألتني بصوتٍ خافت:

- "ألا تعرفين حقًّا من أنتِ؟ لا تتذكرين؟!"

CamScanner

نظرت إليها بدهشة...

- "لا، حقًا، هل يمكنك مساعدتي في معرفة هويتي وحقيقة وجودي في هذا المكان؟"

أجابتني وكأنّها متأكدة:

- "لطالما عرفت الحقيقة... فقط دفنتِها في أعماقك..."

كلماتها وضعتني عند عتبة متاهة من التساؤلات، أعلم أنّ الخروج منها أصعب من الدخول، فقلت:

- "دفنتها؟ لكن عقلي لا يعطيني أي ذكريات، أي دليل!"

فردّت بكل برودة أعصاب:

- "من قال بأنّ الحقيقة مختبئة في العقل؟ إنّها في الأضداد عزيزتي... حين تلتقي الأضداد، ينكشف القناع ويظهر الوجه الخفي للقدر."

تغيرت ملامح وجهي حين سمعتها تردد نفس الجملة التي كنتُ قد قرأتها في المنزل، لكنها بدت وكأنها فهمت معناها أفضل مني، فقلت:

- "في الأضداد؟ لكن الأضداد تعني الفوضى! الأضداد لا تلتقي! الأضداد تلغي بعضها، كيفَ يمكن أن تكون الحقيقة هناك بينما من المفترض أن تكون واضحة؟"

أجابتني:

CamScanner

- "في الفوضى يكمن جوهر الحقيقة... فالحقيقة ليست دائمًا خطّيّة أو بسيطة، بل قد تكون معقدة ومتعددة الأبعاد. الأضداد لا تلغي بعضها، بل تكمل بعضها، مثل النهار والليل، الضوء والظلام!"

لم أكن أتفق معها حول مفهوم الحقيقة، فبالنسبة لي يجب أن تكون بسيطة وواضحة ودقيقة. لماذا أعاني كثيرًا لمعرفة ما هي؟ لماذا كل هذا الغموض يالله! قررت تغيير الموضوع، فنظرت إلى كدمات الطفلة وقلت بحزن:

- "لماذا الجنية الغاضبة كما تسميها تريد إيذاءك؟ هل هي التي ضربتك؟ هل هي التي جعلتك تعانين؟"
- "يجب عليك أن تنقذيني منها... أنا ضائعة بدونك، أنا ميتة بدونك..."
- "لماذا أنا بالتحديد؟"

نظرت إليّ بابتسامةٍ وعيونٍ حزينةٍ وبدأت أتفحصها بشكلٍ أفضل... شعرها أسود مجعد، عيناها تشبه عيناي... لكن... لحظة!

- "لا، هذا ليس ممكنًا، لا، مستحيل! إذا كان صحيحًا، فمن المستحيل أن أنساكِ..."

نظرت نحوي متسائلة:

- "ما الذي تقصدينه؟"

وضعت يداي على فمي مندهشة وقلت:

- "يا إلهي! أنتِ ابنتي!"

ابتسمت لي وشعرت بموجة من الدفء تغمرني، لا أعلم إنْ كان ذلك بسبب الصدمة أم الذعر، لكنّ جسدي كان ساخنًا مثل الجمر... وكانت عيناي ممتلئتين بالدموع...

ابنتي...

طوال هذا الوقت، كانت ابنتي يا الله! تركتها تتعرض للضرب، تتأذى، لكنني لم أستطع حمايتها!

فجأة، صوّبت عيناها لتنظر خلفي، وفي نفس اللحظة، سمعت خطواتٍ آتيةً ببطء من ورائي... شككت أنّ الجنية الغاضبة عادت لتأخذها مني... لكن لم أكن لأسمح لها بذلك، فاستدرت لمواجهتها ومحاربتها لأن...

الرجل المظلم! كان يقف على بعد خطوات مني...

بدأ قلبي ينبض بقوة! كان رد فعلي الفوري هو الالتفات للاطمئنان على ابنتي... لكنها لم تكن هناك! نهضت وصرخت، ألقيت نظرةً شاملةً على المكان، لكنها اختفت...

أنا الآن وجهًا لوجه مع الرجل المظلم، الرجل الذي كان يطارد واقعي وأحلامي، وهذه المرة، حرصت على أن نحسم أمورنا! إذا كانت الحقيقة تكمن في الأضداد، فلا أرى ضدًّا أكثر منه!

CamScanner

شعرت بشجاعةٍ غريبةٍ تغمرني، وكأنّني أقف على أعتاب معركةٍ لا أمل فيها، لكنّ قلبي كان يشتعل بنار معرفة الحقيقة. أخذتُ نفسًا عميقًا وحبسته في صدري، مستعدة لمواجهةٍ لا مفر منها. وقبل أن أتمكن من النطق بحرف، لاحظت ابتسامته... كانت لطيفة... ثمّ خطا نحوي وقال بصوتٍ عذب:

- "اشتقت إليك يا دينا..."

كلماته كانت كالبلسم... بقيتُ أنظر إليه مذهولةً وصوتي ضاع بين جدران صدري، رافضًا الخروج. كان صوته كالموسيقى، ونظراته غمرتني بطمأنينةٍ افتقدتها طويلًا. وعندما رآني صامتة، تابع بابتسامته الهادئة:

- "أهو الخجل أم الشوق الذي عقد لسانكِ يا حبيبتي؟ أم أنّ الكلمات خانتكِ؟"

لم أفهم تمامًا ما يعنيه، لكن اجتاحني شعورٌ غريبٌ بالسّلام، فقرّرت ألّا أسمح لصمتي أن يطول أكثر، ورددتُ عليه بكبرياء:

- "وكيف أشتاق لمن لا أعرف؟"

ضحك بصوتٍ ملأ الفضاء من حولي... كانت ضحكةً نقيّةً لا تشوبها شائبة... ضحكةٌ جعلتني أشعر بالخجل من كلامي. الغريب أنّها لم تكن تحمل شرًّا أو خبثًا؛ بل كانت صادقة، ونابعةً من قلبٍ يبدو طيبًا...

CamScanner

اقترب منّي خطوةً أخرى، فوجدت نفسي أتراجع خطوةً إلى الخلف، وكأنّ المسافة بيننا تضمن لي الأمان. ورغم أنّ ملامحه لم تكن تنذر بخطرٍ، إلّا أنّني لم أستطع تجاهل الخوف الذي تملكني. عندما لاحظ تراجعي للخلف، توقّف ورفع يديه مطمئِنًا:

- "لا تخافي يا دينا، فأنا آخر من يمكن أن يؤذيك. لم آتِ لأُشعرك بالخطر، بل لأكون عونًا وحاميًا لك في هذا المكان المظلم."

حدّقت فيه وأنا منزعجة وقلت:

- "تساعدني؟ تحميني؟ كلّ ما فعلته حتى الآن هو ترويعي! راقبتني، طاردتني، وزدت من مخاوفي التي لا تنتهي!"

خفض يديه واقترب بخطواتٍ هادئة بينما كنتُ أبتعد، حتى شعرتُ بظهري يلامس شجرة باردة، وصرتُ محاصرةً بينها وبين هذا الغريب. تسارعت دقّات قلبي بشدّة، وتوجّهت أفكاري نحو أسوأ الاحتمالات. ماذا يريد مني؟ هل سيؤذيني؟ لكنّه رفع يده بلطفٍ وأزاح خصلةً من شعري عن وجهي، فشعرتُ براحةٍ غريبةٍ تتسلل إلى أعماقي. نظر في عيناي بنظرةٍ دافئةٍ وقال بهدوء:

- "لم أكن أراقبكِ لأخيفك، بل لأحميكِ. لم أطاردكِ لتكوني فريستي، بل لأظلّ بجانبكِ. لم تكن نيتي زرع الرّهبة والرعب في قلبك، بل كنتُ أسعى لحمايتكِ لا أكثر، وإن كنت قد جعلتك تفهمين تصرفي بشكلٍ خاطئٍ، فأنا أعتذر بصدق."

سكتَ لبرهة، ثم وضع يده المرتعشة على وجنتي، وبدأ يلمسها بلطفٍ، كأنه يطمئنني ويطمئن نفسه:

- "تقولين إنّكِ لا تعرفينني، لكن هذا غير صحيح... كنت أظن أنني فقدتكِ للأبد، لكن ها أنا ذا أجدكِ مجددًا. وعدتكِ أنّني سأظل معكِ دائمًا، وأنني لن أتركَكِ أبدًا، فحبُّنا أقوى من كل شيء..."

أجبته باستغراب:

- "حبُّنا؟ عن أيّ حبٍ تتحدث؟ لا أفهم شيئًا..."

ابتسم لي ابتسامةً حزينة، ويده مازالت على وجنتي:

- "نعم، حبنا يا دينا... لا ألومكِ، أعلم أنكِ فقدتِ الذاكرة، لكن لا تقلقي، سأساعدكِ على استعادتها تدريجيًا، وسأخرجكِ من هذا المكان وستدركين أنّ هدفي الوحيد هو حمايتكِ..."
- "لكن حمايتي من ماذا؟ من الجنيّة؟! في هذه الحالة، يجب أن..."

توقف فجأة عن لمس وجنتي، ونظر إليّ بعينين غارقتين في حزنٍ عميقٍ وقال:

- "لكن دينا، ربما تحمين نفسك من الشخص الخطأ..."
- "ماذا تعني؟ هاه؟! الجنيّة تريد أن تؤذيني، والأخطر من ذلك، تريد إيذاء الطفلة الصغيرة! لقد ضربتها وحاولت خطفها، إنّها خطيرة ومخيفة! يكفي أن ترى مظهرها لتدرك ذلك، بالله عليك!"

- "ألم يعلمكِ أحد من قبل أن المظاهر غالبًا ما تكون خادعة؟ الحياة ليست دائمًا بيضاء أو سوداء يا حبيبتي، أحيانًا يكمن الشر حيث لا نتوقعه. الجميع يضعون الشمس في مواجهة الظلام، وينسون أحيانًا أنّ الظل قد يحمي من شمسٍ حارقة... ألا تتساءلين إن كنتِ تحمين نفسك من الشخص الخطأ؟ صدقيني يا دينا، الظلام ليس دائمًا مرادفًا للشر، والبراءة ليست دائمًا مرادفًا للخير..."
- "ماذا تقصد؟ إذا كنت تتحدث عن ابنتي، فهي مجرد طفلة! لماذا يجب أن أحمي نفسي منها؟!"

تراجع فجأةً وكأنّ كلماتي كانت صادمةً له، ونظر إليّ بعينين حائرتين قائلًا:

- "ابنتك؟! ما الذي يجعلكِ تعتقدين أنها ابنتكِ أو أن لها أي علاقة بكِ من قريبٍ أو بعيد؟"
- "إنها تشبهني و... لا أدري، أشعر بذلك فقط... على أي حال، لا أعرف حتى أين أنا، لم أعد أستطيع التفريق بين الحقيقة والوهم، أشعر أنني أفقد عقلي أكثر فأكثر..."

اقترب مني فجأة وأمسك بذقني بحنانٍ بين يديه، فاضطررت لرفع عيناي للنظر إليه. كان طويلًا... وسيمًا... قريبًا جدًّا من وجهي لدرجة أني استطعت أن أرى ملامحه بوضوحٍ أكثر. كان يتمتع بشيءٍ مميز، فهو من نوع الرجال ذوي الملامح العادية، ومع ذلك تجد نفسك منجذبًا إليهم. كان يمتلك سحرًا خاصًّا...

CamScanner

ظلّ صامتًا للحظةٍ وهو ينظر إلى كلّ زاويةٍ من وجهي... كأنّه يتأملني، كأنه لم يرني منذ زمنٍ طويل... كنت في حالة يُرثى لها، ومع ذلك، كان ينظر إليّ وكأنني أجمل شيءٍ في هذا العالم، فشعرت بدفءٍ يغمر قلبي وحرجٍ خفيف جعلني أحمر خجلًا. بعد عدة دقائق، عاد بنظره إلى عيناي وقال بصوتٍ ناعمٍ يكاد يشبه الهمس:

- "ما تشعرين به تجاهي حقيقيٌّ يا دينا... وما أشعر به تجاهكِ أيضًا حقيقيٌّ..."

ثم رفع يده عن ذقني ووضعها على شعري وبدأ يمرّر أصابعه بلطفٍ وتابع كلامه:

- "هذه الأمطار حقيقيّة، انظري كيف تحتضن بشرتك المتعبة، كيف تهدئها... ألا تشمّين رائحة الأرض المبللة؟ هل تعتقدين حقًّا أنّ هذا كلّه مجرد وهمٍ يا دينا؟"

أمسك خصلةً من شعري وبدأ يلفها بين أصابعه بلطفٍ... أزحت ناظري عن عينيه لأراقب حركته المليئة بالحنان، لكنّه حرّك يده الأخرى التي كانت لا تزال على ذقني ليوجه نظري بلطفٍ نحو عينيه مرّةً أخرى قائلًا:

- . "لا تشتّتي نظركِ عنّي يا دينا... انظري إليّ وإلى ما يحيط بنا. الحقيقة واضحة أمامك، عليكِ فقط أن تدركي ذلك."

كنت ضائعة، لم أكن أعرف ماذا أقول له، فابتسمت وقلت:

CamScanner

- "هذا البرد الذي يصفعني حقيقيّ أيضًا؟"

ضحك بطريقةٍ مفعمةٍ بالإخلاص، فابتسمت وبادلته الضحك. لأول مرّةٍ منذ أن استيقظت في هذا المكان، شعرت أخيرًا بسعادةٍ صافيةٍ وكنت ممتنةً له...

خلع معطفه ووضعه على كتفي، وعلى الفور شعرت بدفءٍ يغمرني وعطره يسحرني... تساءلت كيف يمكنه الاحتفاظ برائحةٍ زكيةٍ في هذا المكان الموحش. شعرت بالحرج من حالتي القذرة، لكنّه قال فجأة، وكأنه يقرأ أفكاري:

- "أنتِ جميلةٌ دائمًا يا دينا، أنتِ جميلةٌ في كلّ حالاتكِ... سيأتي اليوم الذي تتذكرين فيه من أنا، من نحن، ولكن في الوقت الحالي، أنا هنا من أجلكِ وسأحرص على إخراجكِ من هذا المكان."

مدّ لي يده، فأمسكت بها على الفور وتبعته... إلى أين؟ الله أعلم...كنّا فقط نسير في الغابة. ما كان مؤكدًا هو أنّه يعرف هذا المكان، كان يعرف إلى أين يتّجه، وهذا ما جعلني أشعر بالراحة، فأنا لم أعد وحدي...

وفجأة، اعتقدت أنه يقودني إلى القرية، وشعرت بذعرٍ يجتاح قلبي! فتوقّفت عن السير وأفلتّ يدي من يده وقلت غاضبة:

- "لن أعود إلى تلك القرية، مستحيل!"

ابتسم لي قبل أن يمسك بيدي مرّةً أخرى وتحدّث معي بكلّ لطف:

CamScanner

- "لا تقلقي، أريد فقط أن أضعكِ في مأمنٍ من المطر والبرد... سنجلس تحت تلك الشجرة الآن، وسأشعل لنا نارًا حتى تدفئي قليلاً، فأنتِ لا ترتدين ملابس ثقيلة..."

نظرت إلى الأسفل فرأيت ثوبي ممزقًا... وعلى الرغم من أنه لم يكن يكشف عن شيءٍ من جسدي الحميم، إلا أنني شعرت بالاضطراب لكوني هكذا أمامه. شعرت بالاحمرار يعلو وجهي، بينما كنت أحاول تعديل ثوبي ليبدو لائقًا أكثر. ابتسم لي برفقٍ قبل أن يذهب لجمع الحطب، ثمّ أشعل نارًا كبيرة وطلب مني الجلوس على غصنٍ كبيرٍ وضعه بالقرب من النار لأدفأ. فقمت بتلبية طلبه على الفور، وشعرت بدفءٍ وحنانٍ يتغلغلان في جسدي وروحي. ابتسمت لهذا الإحساس الغريب عنّي حتى الآن وسرعان ما غفوت...

لا أعرف كم من الوقت نمت، لكن صوت النار الخافت أعادني إلى وعيي. عندما فتحت عيناي، وجدت رأسي على كتف الرجل الغامض الذي كان يجلس بجانبي ويقطع شيئًا يبدو كأنّه فاكهة... ابتسم بكلّ هدوء وقال:

- "آه، يبدو أنّ أميرتي استيقظت أخيرًا، خذي، كُلي هذا، أعلم أنكِ جائعة."

أخذت الفاكهة منه وشكرته، ثم قمت بقضمها. كانت الفاكهة غريبةً قليلًا ومريرة، لكنني لم أستغرب ذلك كثيرًا؛ أيّة فاكهةٍ لذيذةٍ يمكن أن تنمو في هذه الغابة الملعونة؟ على أيّ حال، كانت لا تزال جيّدةً وأرضت بطني الجائع.

وبينما كنت آكلها، رأيت الرجل الغامض يمزق قطعةً من قميصه، ولم أفهم السبب حتى جثا على ركبتيه أمامي... أمسك بيدي وبدأ يلف جروحي بقطعة القماش، لقد نسيت أنّ يداي كانتا تنزفان قليلًا منذ حادثة المرآة. كان حريصًا على لفِّ الجروح بعنايةٍ حتى لا يؤلمني، وقال بصوتٍ هادئ:

- "لا يمكنكِ استعادة ذاكرتكِ إذا فقدتِ كلّ دمكِ، أليس كذلك عزيزتي؟"

ثم قام بقرص خدي مما جعلني أبتسم بخجل، وقلت مازحةً:

- "هل أنت حنونٌ هكذا مع الجميع يا 'عزيزي' "؟
- "آه، ليس لديّ سوى دينا واحدة..."

ثمّ جلس بجانبي محدّقًا في النار بنظرةٍ حزينةٍ... كان يفكر في شيءٍ ما، لكن ما هو؟ كنت أرغب في اختراق عقله، أردت أن أفهمه... كان قليل الكلام، وكأنّه يحميني من حقيقةٍ يصعب تقبّلها. لكنّني قلت لنفسي إنّ الأفعال أحيانًا تتحدث بصوتٍ أعلى من الكلمات، لذا تركته مع أفكاره حتى لا أزعج لحظة سلامه...

كنت أنظر إليه جالسًا هناك، بلا معطفٍ ومرتديًا سترةً ممزقة، لكن ذلك لم ينقص من جاذبيّته شيئًا. على العكس، كان يتمتع بحضورٍ قويٍّ ومطمئن جدًا ...لزمنا الصّمت لفترة، فقد كان كلٌّ منّا غارق في أفكاره...

CamScanner

بعد عدة دقائق، ولما رأيت أنّه لا يتحرك ولم يكن نائمًا أيضًا، حاولت طرح سؤالٍ صغيرٍ من بين مئات الأسئلة التي كانت تتدافع في رأسي بلا انقطاع:

- "لقد دعوتني دينا عدة مرات... هل هذا حقًّا اسمي؟"

أخيرًا، أزاح نظره عن النار ليركز عليّ، وقال بلطفٍ كأنّه لا يريد أن يزعج هدوئي:

- "نعم، إنه اسمكِ... لم تُفاجئي عندما ناديتكِ به. هل بدأت ذاكرتكِ تستعيد بعضًا من تفاصيلها؟ هل تذكرتِ شيئًا؟"
- "لا، لقد رأيت الاسم محفورًا على ظهر ساعتي المكسورة، فقلت لنفسي ربما يكون اسمي. بدا لي مألوفًا."

ابتسم لي برقّةٍ وقال:

- "مألوفٌ وجميلٌ..."

لوهلة، تذكرت الفتاة الصغيرة فسألته:

- "حدثني قليلًا عن ابنتي!؟ بما أنك تعرفني جيدًا، لابد أنك تعرفها أيضًا، أليس كذلك؟"

فجأة، تغيّرت ملامحه إلى حزنٍ عميقٍ يصاحبه غضبٌ خفيف، ثمّ تنهّد بعمقٍ قبل أن يقول لي:

CamScanner

- "انسَ أمرها يا دينا، تلك الفتاة لم تكن موجودة أبدًا، إنّها مجرد وهم، وهذا كل ما تحتاجين إلى معرفته الآن..."

بدأت أفقد صبري حقًّا، وبدأ الغضب يتفاقم بداخلي... لماذا لا يخبرني بحقيقة حتى أتمكن من المضي قُدمًا؟ لماذا يعذبني بهذا الشكل؟ أغلقت عيناي وأخذت نفسًا عميقًا لأسيطر على أعصابي وقلت:

- "ماذا تقصد بأنّها لم تكن موجودةً أبدًا؟ لقد رأيتها بعينيّ هاته، لقد لمستها، حملتها بين ذراعيّ... كيف يمكنك أن تقول لي ببساطةٍ إنّها لم تكن موجودة؟! إذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أنّ لا وجود لأيّ شيءٍ أيضًا!"

أجاب بكلّ صرامة:

- "كل ما يحيط بك حقيقيٌّ يا دينا، كل ما تشعرين به حقيقيٌّ، أنا حقيقي، لكن الطفلة التي تتحدثين عنها، أنتِ الوحيدة التي رأيتها..."

قاطعت حديثه بصوتٍ حادٍّ:

- "أعرف أنني لم أتخيلها..."

تنهد بعمق، وكأنه متعبٌ وقال:

- "ألم تلاحظي أنّ هذا المكان غريب؟ كأنه... مسكون بكياناتٍ غريبة؟ لا تصدقي كل ما ترينه يا دينا، نعم، هناك أشياء حقيقية،

ولكن هناك أيضًا اشياء زائفه تهدف إلى إرباك عقلكِ. لا تضيعي بين الحقيقة والكذب، عادةً ما يكون هناك خيطٌ رفيعٌ بينهما."

رغم أنّني حاولت أنْ أسيطر على نفسي، فقد انفجرت أعصابي أخيرًا، ولم أعد أستطيع التفكير، وكان إحباطي يتزايد أكثر فأكثر. وقفت وبدأت أتحدث بصوتٍ عالٍ وأنا أمشي ذهابًا وإيابًا بشكلٍ فوضوي:

- "ماذا تعني بذلك؟ هممم؟ هل جنٌّ مكيرٌ يتنكر في هيئة ابنتي ليعذبني؟ أم أنّها مجرد ثمرة خيالي؟ لكن في كلتا الحالتين، السؤال يظل نفسه، لماذا؟!"
- "نعم دينا، لماذا؟"

كنت غاضبةً منه بشدة، ومن نفسي كذلك، ومن كل هذه المواقف اللعينة، فبدأت أصرخ بصوتٍ عالٍ مثل المجنونة:

- "يبدو أنك تعرف السبب، لكنك لا تخبرني! أنت لا تختلف عن أولئك الذين جعلوني في هذه الحالة، أنت لا تختلف عن الآخرين!"

وقف ونظر خلفه، وكانت عيناه مليئتين بالذعر:

- "إذا لم أخبركِ بالحقيقة الآن، فذلك من أجل سلامتكِ يا دينا. أنتِ لا تدركين تمامًا سبب تصرّفي بهذا الشكل، أنتِ حقًّا لا تفهمين... الأمر لا يزال مبكرًا، وأريدكِ فقط أن تكوني حذرة."
- "حذرةً من ماذا بالله؟ حذرةً من ماذا؟!"

CamScanner

توقف للحظةٍ دون أن يقول كلمة، كما لو كان يحاول تهدئتي، وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة حتى لا يزيد من غضبي... رفع ذراعيه ثم أسقطهما بجانبه في حركة استسلام، وتنهد بعمقٍ وحزن وقال:

- " لستِ مستعدّةً بعد... في كل مرة أظن أنّ الوقت قد حان، أدرك أنكِ ما زلتِ غير جاهزة!"

ألقيت معطفه على الأرض، واقتربت منه وصفعته بكل قوّتي وبدأت أضربه على صدره وأصرخ بأعلى صوتي... كنت في حالةٍ من الهستيريا الجنونية... حاول أن يهدئني، أن يمسك ذراعي، لكنني كنت أزداد عنفًا... حتى بدأ يظهر على وجهه القلق:

- "دينا، أرجوكِ، اهدئي، ستسمعنا..."
- "من التي ستسمعنا؟ نحن هنا وحدنا، أنا وأنت فقط! أنا مستعدةٌ لسماع الحقيقة، فقط أخبرني بها، لقد تعبت من كل هذه الألغاز، لا أستطيع التحمّل أكثر! لقد بلغت أقصى طاقتي! "

اقترب مني كما لو كان يريد أن يعانقني، لكنني تراجعت عنه... توقّف فجأة، ونظر إليّ بألمٍ وحزن، لكنّني لم أهتم، كنت غاضبةً للغاية، كنت غاضبةً جدًّا منه... استمررت في الصراخ عليه كالمجنونة:

- " لا تصرخي يا دينا، سنتحدث كالبالغين، أنتِ تغضبين من الشخص الخطأ ولا تدركين ذلك، لا تصرخي، ستجدنا!"

لكن قبل أن أتمكن من سؤاله عمَن يقصد، شعرت بتيّارٍ هوائيٍّ قويٍّ قادمٍ من خلفي! أدرت رأسي لأعرف مصدره، وقبل أن أستطيع رؤيته، شعرت بيدٍ تمسك شعري بقوّةٍ وتجرُّني إلى الوراء حتّى فقدت توازني وسقطت، لكن اليد لم تترك شعري واستمرت في سحبي بعيدًا عن المكان الذي كنت فيه...

شعرت بألمٍ رهيبٍ في رأسي، كأنّ الفروة اقتُلعت من مكانها والعروق تنفجر واحدةً تلو الأخرى! بدأ الألم يمتدُّ إلى كلِّ جسدي الذي كان يُسحب بلا رحمة... حاولت الإمساك باليد التي كانت تسحب شعري لكي أتخلص منها، لكن دون جدوى!

كانت قويّةً بشكلٍ لا يُصدّق...

حينها رأيت الرجل المظلم يجري باتجاهي، وقد ظهرت عليه علامات الذعر:

- "دينا! دينا! سأجدكِ! لا تخافي، سأجدكِ، كوني قويّةً من أجلك، من أجلنا، لا تنسي أنّ..."

بدأ صوته يتلاشى...

واختفى في ظلال الغابة الكثيفة...

وأصبحت النّار العظيمة مجرد نقطةٍ حمراء صغيرة إلى أنْ اختفت هي أيضًا...

CamScanner

كنت مرعوبةً ممّا يحدث... مهما كان هذا الشيء الذي يجرني، كان بلا رحمة وسريعًا جدًا .شعرت بأنّ ساقاي تُسحقان على الأرض الموحلة، وكنت أتألم في كل مكان. بذلت جهدًا كبيرًا لرفع رأسي محاولةً رؤية من كان يمسك بي...

كانت هي... الجنيّة! بنفس المظهر وبنفس الحروق التي رأيتها بها آخر مرّةٍ عندما كنت في ذلك البيت الملعون... كانت تركض بسرعةٍ فائقة! وجّهت نظري إلى السّماء متجنّبةً النّظر إليها، لكنّ السماء كانت مظلمةً وتعكس الجحيم الذي كنت أعيشه... لم أكن قادرةً على الصراخ أو الكلام أو التوسل... كان الألم شديدًا، والسماء بدأت تصبح أكثر ظلامًا حتى صارت سوداء تمامًا. لحظة، لم يكن الظلام يغطي السماء، بل...

@ART_OF_BOOK

CamScanner

@ART_OF_BOOK

-6-

بين القضبان

CamScanner

اجتاحت أنفي رائحة احتراق حادّة، وشدّ راسي صداعٌ نابض بقوّة. شعرت بألمٍ حادٍّ في رقبتي وبطني... فتحت عيناي لأجد نفسي محاصرةً بالخوف! كان يحيط بي من كلّ جانب، ثقيلًا وخانقًا. نهضت بسرعةٍ وأنا مفزوعة؛ كان قلبي ينبض بقوّة وسط صدري، وبدأ تنفّسي يتسارع في ظلامٍ يملأ كياني...

حاولت أن أتحرك من مكاني، لكنني شعرت بسلاسل خشنة تقيّد كاحلي، تغرز في جلدي بقسوةٍ كلما حاولت التحرر... كانت كلّ حركةٍ تزيد من ألمي الذي يذكرني بالوحشيّة التي تعرضت لها في هذا المكان...

سحبتني بلا رحمة...

كنت على وشك الموت، لا بل...

كان ينبغي أن أموت...

لأنني كنت أعلم في قرارة نفسي أنّ هذا المكان لن يجلب لي سوى المزيد من العذاب... حاولت بكلّ قوّتي أن أنزع تلك السّلاسل، لكنّها كانت مثبتةً بإحكام في الجدران. رفعت رأسي متفحّصةً محيطي... جُلت بنظري يَمنةً ويَسرةً في محاولةٍ يائسةٍ للعثور على أيّ شيءٍ يساعدني في الهروب من هذا المكان المرعب، لكنّني أدركت بأنّني محبوسةٌ في زنزانة، مسجونة ومقيّدة كحيوانٍ بائس...

بدت الجدران وكأنّها تضيق عليّ... سوائل سوداء لزجة كانت تتسرب ببطءٍ على الأحجار، كأنّها جروح مفتوحة تنزف. كان المشهد بشعًا لدرجة أنني

CamScanner

لم أستطع تحمل الشعور بالاشمئزاز! وعلاوةً على كل هذا، كانت هناك نافذة واحدة فقط بقضبانٍ حديديّة صدئة...

رغم قسوة الموقف، كنت ممتنّةً لطول السّلاسل الذي أتاح لي الوصول إلى تلك النافذة. لكن يا للأسف، لم يكن هناك شيء... كانت النافذة تطل على جدارٍ غريبٍ وممرٍّ طويل، وكأنني تحت الأرض. شعرت بالعزلة التامة؛ كأنني دُفنت حيّةً... أرعبتني هذه الفكرة بشكلٍ لا يوصف!

كانت معدتي تنقبض من شدّة الجوع، وحلقي الجاف جعل كلّ نفَسٍ يتطلب منّي جهدًا هائلًا، ومع البرد القارس الذي كاد يجمّد عظامي، كنت ألعن نفسي على إلقاء المعطف الذي أعطاني إيّاه الرّجل المظلم... لا ندرك قيمة ما نملك حتى نفقده حقًّا...

وبينما كنت أحاول تدفئة يداي، كان اليأس ينساب إلى روحي... كنت أدرك أنّه يجب عليّ إيجاد وسيلة للخروج من هنا، لكن كيف؟ كنت أشعر أنّ كل حجر في هذه الزنزانة كان يضغط على قلبي ويعمق معاناتي... الشيء الوحيد الذي كان يخفف من شعوري باليأس هو ضوء مصباح الزيت الذي كان يبعث نوره من خارج الزنزانة، ليحفظني من الظلام الدامس.

اقتربت بحذرٍ من قضبان الزنزانة وألقيت نظرةً على ما وراءها، لكنني لم أجد سوى ممرٍ طويلٍ مظلم لا يختلف عن حالة الزنزانة البائسة. بدأت أهز القضبان بقوّة، داعيةً الله أن تكون هشة يسهل نزعها، لكن فجأة، اخترق صراخ مرعبٌ ذلك الصمت الثقيل!

ثمّ تبعه صراخ ثانٍ...

وثالث... ما الذي يحدث يا الله؟!

تداخلت الأصوات مع بعضها البعض، ممّا جعل الأجواء تتحوّل إلى مشهدٍ حقيقيٍ من الرعب! تراجعت إلى الوراء إلى أن شعرت بظهري يلامس الحائط، وكانت عيناي متّسعتين ويداي ترتجفان من الخوف... كان هناك أناس يتعرضون لتعذيبٍ وحشيٍّ يا الله! لم تكن تلك الصرخات عاديةً أبدًا...

ارتفعت الأصوات. وازدادت رائحة الاحتراق قوّة، حتى أصبحت لا تحتمل لدرجة أنني جلست على الأرض وسحبت ركبتيّ إلى صدري، ثم بدأت أتمايل يمينًا ويسارًا كالمجنونة... لم أكن أعلم ماذا أفعل، فضغطت على أذنيّ محاولةً حجب تلك الصرخات المروّعة. وفجأة، وجدت نفسي أصرخ معهم:

- "بالله عليكم، توقّفوا! لا أستطيع التحمل أكثر، سأفقد عقلي! لا، لا! كفى!!!"

كانت دموعي تتساقط بغزارةٍ على وجهي المتّسخ، بينما كانت صرخاتي تزيد من رعب الجو المحيط بي:

- "توقفوا! بحق الله! اصمتوا! أنا..."

لكن قبل أن أكمل جملتي، انفتح باب الزنزانة بعنف! وجدت نفسي ملتصقةً بالحائط، وكانت يدٌ مخيفةٌ تشدّ عنقي بقوة حتى أصبحت رؤيتي مشوّشة. شعرت أنني على وشك الموت... ومع اقتراب تلك اللحظة، خفّ الضغط

CamScanner

قليلًا ثمّ صار أشدّ من السّابق. لم أكن أعلم كم من الوقت مضى... وفي لحظة غير متوقعة، ارتخت القبضة قليلًا وبدأت رؤيتي تعود تدريجيًا... لكنني تمنيت لو أنها لم تتضح...

لقد كانت هناك... الجنيّة! على بعد بضع سنتيمترات من وجهي، تحدق بي بعين واحدة ذات لون أحمر، بينما اللعاب يتساقط من فمها المشوه. كانت غاضبة، وكل شيء فيها يعكس رغبتها في إيذائي! كان جسدها متفحمًا أكثر من المعتاد، ولم يتبقَّ منه سوى عروق دامية تغطي كل شبر في جسدها. كانت تحدق بي بنظرة مليئة بالكراهية، وبصوتٍ أجش يكاد يخلو من الصفات البشريّة، قطعت الصمت بقولها:

- "اصمتي أيتها الحقيرة! هل تعتقدين أنّ هناك من يمكنه سماعك هنا؟ لا أحد سيأتي لنجدتك، أنتِ ملكي الآن!"

كان جسدي كله يرتجف أمام الشيطانة التي كانت تقف أمامي! تخلت عني كل شجاعتي، كنتُ مرعوبةً من مواجهتها خوفًا من أن يثير ذلك غضبها أكثر:

- "أرجوكِ، لا تؤذيني، لم أقصد..."

لكنّ ضحكتها الشيطانية قطعت رجائي، ضحكةٌ كشفت عن أسنان سوداء كالفحم. اقتربت بوجهها مني وقالت:

CamScanner

- "هاهاها... يا لكِ من مسكينة، ضعيفة وهشة لدرجة أنني أستطيع سماع عظام رقبتك تتكسر تحت يديّ. حركة واحدة تجعلك ميّتة! إذا تفوّهت بكلمة أخرى، فلن أتردّد لحظة في إحراقك كما أحرقتهم جميعًا، وسأجعل من صرخاتك موسيقى أتلذذ بها وأنا أتذوق دمك!"

لم أجرؤ على التفوّه بكلمة واحدة! لكن سرعان ما تحول نظري ببطء من وجهها إلى الباب المفتوح... رغبت في مواجهتها، أفقأ عينها الوحيدة بأصابعي حتى تفقد توازنها، ثم آخذ المفتاح لأتحرّر من السلاسل وأهرب... لكن جسدي فقد كل قوّةٍ وشجاعة، شعرت حرفيًا بالشلل يغزو جسمي النحيل...

وفجأة، شعرت بجسدي يرتخي رغم إرادتي، وامتدت حرارةٌ غريبة تحت ثوبي... لم أجرؤ على خفض نظري لفهم ما حدث، لكن الجنية لم تتردد في ذلك. ظهرت على وجهها علامات الاشمئزاز، وبنظرةٍ مليئةٍ بالتعالي والاحتقار، قالت:

- "آه! الخوف... يا له من شعورٍ جميل، يفرض الاحترام، أليس كذلك؟ انظري لنفسكِ، تتبوّلين على نفسكِ من شدة الخوف. أين هي دينا الشجاعة التي انتزعت مني الفتاة الصغيرة في ذلك المنزل، ها؟ أين هي؟ واجهيني الآن، تفضلي! لكن لا، لا تستطيعين، أنتِ عاجزة، حالك حال البقيّة!"

@ART_OF_BOOK

CamSc

كانت كلماتها تقشعر لها الأبدان، لكنها كانت صائبة؛ فقد تخلت عني كل مقاومة. قلت لها بصوت محتدٍ:

- "لماذا أنتِ قاسية هكذا بالله عليك؟"

شدت قبضتها على عنقي ورفعتني إلى الأعلى حتى أنّ قدماي لم تعد تلامس الأرض، وأجابت بصوتٍ عالٍ كأنّها تصرخ... لا أعرف لماذا، لكن سؤالي أثار غضبها بشدة:

- "لأنّ النار يجب أن تلتهم الحديد لتصنع منه سيفًا... أليس كذلك؟!"

كانت متذبذبة، تتأرجح بين الحكمة والعنف... لم أكن أعرف كيف أتعامل معها، لذا حاولت أن أنتبه لكل كلمة أقولها، وأحدّثها بهدوء قدر الإمكان، خشية أن تؤذيني:

- "لكن السيف في نهاية المطاف قد يكون أداة للدمار، فهو سبب الحروب والمآسي التي لا تُعد ولا تُحصى. هل يستحق حقًّا أن يُصنع؟"

ضحكت الجنّية بسخريةٍ مريرةٍ قبل أن تجيب بنبرة أكثر هدوءً، لكنها لا تزال تحمل في طياتها تهديدًا خفيًّا:

- "أترين يا دينا، هذه هي مشكلتكِ. أنتِ تلومين السيف بدلًا من التفكير في سبب صناعته. هل تفضلين أن تكوني الضحية أم الوحش؟ أنا أرفض أن أكون مجرد ضحية!"

CamScanner

قلت بصوت شبه مسموع:

- "نعم، ولكن بأيّ ثمن...؟"
- "بثمن مظهري هذا... بثمن هذه الحروق... أفضّل أن أكون وحشًا أسحق أيّ شخص يقف في طريقي، سواء أكان صالحًا أم طالحا، بريئًا أم مذنبًا، لكن في نهاية المطاف، لن أتبول على نفسي خوفًا."

ودون أن تضيف كلمةً أخرى، ألقت بي بعنفٍ نحو الحائط المقابل: فاصطدم جسدي بالحجر بقوّة بالغة. شعرت بالألم على الفور، وشعرت بارتجاج في رأسي جعلني أتشوّش قليلًا... وقبل أن أستعيد توازني وأتمكن من الرد، خرجَت من الزنزانة وأغلقت الباب بصوتٍ مدوٍ، تاركةً إيّاي وحدي.

بقيت جالسةً على الأرض وقدماي ملتصقتان بصدري، أرتجف من الألم والخوف... شعرت فعلًا بالهزيمة وكان إحساسي بالانكسار عميقًا... لم يكن لديّ سوى البرد والرطوبة كرفيقين، واشمأززت من الرائحة الكريهة التي كانت تحيط بي. لم أستطع تحويل نظري عن باب الزنزانة، كنت أترقب كلّ ظلّ وكلّ صوت، مرعوبة من فكرة عودتها...

كانت أفكاري تتصارع في ذهني، محمّلةً بمشاهد متداخلة تجمع بين الجنيةّ، والفتاة الصغيرة، والرجل المظلم. تذكرت تلك الفتاة وأخذت أفكر في العبارة الغامضة التي همست لي بها، تلك العبارة التي وجدتها مكتوبةً خلف صورة العائلة في ذلك المنزل الملعون:

CamScanner

"حين تلتقي الأضداد، ينكشف القناع ويظهر الوجه الخفي للقدر."

وتذكرت أيضًا العبارة الثانية الغريبة التي وجدتها في نفس المنزل:

"الظلام هو الحارس الأخير للأسرار التي تضيء دروب الفهم."

لم أكن أفهم مغزى هذه الكلمات ولا ارتباطها بما أعيشه... كل شيء كان غامضًا، كأنه أحجيةٌ مبعثرة... حتى كلمات الرجل المظلم التي كانت تحذرني، بدأت تربكني شيئًا فشيئًا...

آه... سقطت دمعة على خدّي حين تذكرت لطفه. لقد حاول مساعدتي، وأنذرني من قبل، وكل ما فعلته هو دفعه بعيدًا، وضربه، والصراخ في وجهه... كيف يمكنني أن أتمسّك بأمل النجاة واكتشاف الحقيقة، وقد رفضت اليد الوحيدة التي مُدّت إليّ؟

آخخ، كنت أودّ أن أقدم كل شيء مقابل أن أجلس بجانب النار مرّةً أخرى، لأشعر بدفئها المريح، أو لأستيقظ ورأسي مستندٌ على كتف الرجل المظلم... حتى تلك الفاكهة المرّة التي قدمها لي، كنت سأتناولها بامتنان، فقد أزالت عني وطأة الجوع...

كان الغضب يتصاعد بداخلي، غضبٌ صامتٌ ممزوجٌ بالعجز. فمجرد التفكير في أنني عالقةٌ في هذه الزنزانة القذرة مع جنّيةٍ مجنونةٍ بإمكانها إنهاء حياتي في أيّة لحظة، أشعر بالضياع أكثر من أي وقت مضى. كان الوقت

CamScanner

يبدو وكأنه لا ينتهي... لم أكن أعرف كم من الدقائق أو الساعات مضت، لكن التعب استنزف قواي وغلبني النعاس، فاستسلمت لنومٍ مضطرب.

كانت هناك، تلك الفتاة الصغيرة، (هل هي حقًّا ابنتي؟) لقد كانت تقف ثابتةً وسط الغابة. كنت خلفها تمامًا، بينما كانت هي تحدق في الأفق البعيد... تقدمت نحوها ووضعت يدي على كتفها، فالتفتت إليّ ببطء. ظهرت على وجهها ابتسامة طفوليّة، لكنّها سرعان ما تحولت إلى ملامح جامدة... إلى وجه خالٍ من الحياة، كأنه قد أُفرغ من كل المشاعر يا الله!

لكنْ قبل أن أستوعب ما يحدث، شعرت بأنّ يدي التي لا تزال على كتفها تشتعل بحرارة لا تُطاق... كأنني وضعتها على جمر ملتهب! ارتجفت وسحبت يدي بسرعة ونظرت إليها مصدومة مما حدث، كان وجهها قد بدأ يظلم أكثر فأكثر، وتحولت ملامحها الطفوليّة البريئة إلى تعابير مخيفة!

بدت مرعبةً لدرجة أنني بدأت أتراجع بخطواتٍ حذرة، وكانت كلما تقدّمت نحوي... كلما ازدادت سرعة خطواتها، حتى تحوّل حلمي إلى كابوسٍ لا مفرَّ منه... لم يكن يفصل بيننا سوى بضع سنتيمترات عندما همست لي بصوتٍ خافتٍ:

- "تيك... تاك... تيك...تاك"

عاد ذلك الصوت المزعج الذي يشبه دقّات الساعة. لم أفهم ما كانت تقصده، ولا ما الذي تريده مني! لكنْ قبل أن أنغمس في استيعاب الأمر،

CamScanner

سمعت صوت خطواتٍ توقظني من الكابوس الذي كنت فيه... كانت تلك الخطوات مألوفةً، شيئًا ما بداخلي كان يتذكرها، يتذكّر... شخصًا؟

لا... إنّه هو! عاد من أجلي!

فتحت عيناي فجأة وركضت نحو النافذة! هناك، خلف القضبان، كان الرجل المظلم يقف مبلّلًا تمامًا بالمطر، يبتسم لي بلطفٍ وكأنّه سعيدٌ لأنه عثر عليّ أخيرًا، ثم تغيرت ملامحه فجأةً إلى قلق:

- "ما الذي يحدث يا دينا؟ لماذا تتعرّقين هكذا؟"
- "أنا... أنا آسفة حقًّا... لم أقصد أن أضربك، لم أقصد أن أصرخ في وجهك، كنت فقط... كنت ضائعة..."
- "دينا..."
- "هذا المكان يدفعني إلى الجنون... أرتكب أفعالًا لم أكن أقصدها... لم أكن أريد أن أؤذيك، كل ما كنت أسعى إليه هو..."
- "دينا، لماذا أنتِ في هذه الحالة؟ لماذا تتعرّقين؟ هل آذاك أحد؟ هل أنتِ مجروحة؟!"

نظرت إلى جسمي، ولم ألاحظ حتى تلك اللحظة أنني كنت أتعرّق بغزارة، ربما بسبب الكابوس الذي عشته للتو. نظرت إليه مرّةً أخرى وانفجرت بالبكاء. أخذت أروي له ما رأيته في منامي، وكذلك زيارة الجنيّة لي وكميّة الذعر الذي خلّفته في نفسي. في البداية شعرت بالخجل من إخباره بكل

CamScanner

التفاصيل، لكنني صرت أفرغ كل ما في قلبي له دون أشعر، وبعدها أحسست بالراحة لوجوده بجانبي...

كان ينصت إليّ بصمت، وينظر إليّ بنظرةٍ ثاقبة، وكأنّه مفتونٌ بكل كلمة أقولها... سمح لي بالبوح بكل ما في داخلي، ثم قال لي:

- "أنا هنا الآن يا دينا، أنا آسف، لقد استغرقت وقتًا طويلًا لأجدك لأنّها هَربت بك سريعًا ولم أتمكن من اللحاق بها... لكن انظري، لقد وعدتك بأنني سأجدك أينما كنتِ، وها أنا الآن هنا معك... أعلم أنّ ما مررتِ به صعبٌ للغاية، لكنني فخورٌ بك... لقد اتخذتِ القرار الصحيح بعدم مواجهة الجنيّة، لأنها كانت ستؤذيكِ حتمًا وربما تقتلك! علينا أن نكون أذكى منها إذا أردنا الخروج من هنا... أمّا عن حلم الفتاة الصغيرة..."
- "لقد أرعبتني... حقًّا، لا أعرف ما الذي كانت تريده، لكنني شعرت بالحزن لرؤية ملامحها تظلم... إنّها صغيرةٌ جدًّا وضعيفة..."

خفض عيناه والحزن يغطي وجهه، وزفر زفرةً طويلةً ثمّ قال:

- "كوني صبورةً... قريبًا ستفهمين كلّ شيءٍ، صدقيني كلُّ شيءٍ له تفسير! المهم أنني سعيد للغاية لأنني وجدتك أخيرًا..."

ابتسمتُ وقلت مازحة:

- "هل أنت متأكد؟ حتى وأنا في هذه الحالة الفظيعة؟"

- "لا تغريني يا دينا، فأنا على استعداد لأن أتبوّل على نفسي إذا كان ذلك سيجعلكِ تتوقفين عن الشعور بالاشمئزاز من نفسك..."

ضحكتُ وأنا ألمس فستاني وأخفض رأسي بتمثيلٍ حركيّ كأنني ملكة، وقلت له بلهجةٍ جادةٍ وساخرة:

- "شكرًا جزيلًا يا صاحب التسمو على عرضك السخي، لكن أنتي معتادٌ على روائح أفضل بكثير..."

اتخذ هو أيضًا مظهرًا جديًّا وساخرًا، وانحنى بشكلٍ مسرحيّ قائلًا:

- "العفو، سيّدتي، في خدمتك دائمًا..."

ثم رفع رأسه والتقت نظراتنا، فلم نتمالك نفسينا من الضحك بصوتٍ عالٍ لمدةٍ طويلةٍ قبل أن يضع إصبعه على فمه:

- "شششش... بهدوء، إذا سمعتنا، سيكون التبوّل آخر مخاوفنا."

كنت أبتسم كطفلةٍ صغيرةٍ في تلك اللحظة العفويّة، وكل ما أردته هو الخروج من هذا السّجن لأكون بجانبه. خلع معطفه وأعطاني إيّاه بكل مودّة... لحسن الحظ، كانت القضبان واسعةً بما يكفي ليمر المعطف دون صعوبة... ارتديته وشعرت بدفءٍ ينتشر في جسدي المتعب، ثم أخرج من جيبه ثمرةً صغيرةً لا أعرفها وزجاجة ماء صغيرة متهالكة، وقدمها لي. أخذتها بامتنان، وبلعت ريقي من شدة الجوع والعطش.

CamScanner

- "أنا آسف، أعلم أنّه غير كافٍ، لكن من الصعب العثور على الطعام والماء في هذه الغابة..."
- "لا تقلق، هذا أفضل من العدم، وبدونه ربما لن أصمد طويلًا. من المضحك أنه رغم كل هذه الأمطار، لا يمكننا الحصول على الكثير من الماء..."
- "نعم، لكن هناك عاصفة قويّة بالخارج، والرياح العاتية جعلتني غير قادر على جمع المزيد. سأجلب لكِ الكثير عندما أعود حبيبتي."
- "عندما تعود؟ ماذا تعني؟! هل سترحل الآن؟ لا، لا أرجوك، لا تتركني هنا وحدي، أخرجني من هذه الزّنزانة... من فضلك، لا تتركني وحدي هنا..."

أمسك يدي بلطفٍ بين القضبان، وقال بصوتٍ مطمئنٍ وهادئ:

- "إذا كنت قد خاطرت بالعبور عبر العاصفة لأجدك، فليس لكي أتركك الآن يا دينا... لقد أخبرتك أنني سأكون دائمًا هنا من أجلك، لكن قبل أن أخرجك من هذه الزنزانة، يجب أن أعثر أولًا طريق الخروج من هذه الغابة. ثم أعود لاقتلاع هذه القضبان من النافذة، وسنهرب معًا..."
- "لكن لماذا لا تقتلع هذه القضبان الآن ونرحل سويًا؟ أرجوك، أشعر برعبٍ شديدٍ هنا..."

@ART_OF_BOOK

CamScanner

- "لا يا دينا، الأمر ليس بهذه البساطة، صدقيني. أنتِ مكبّلةٌ بالسلاسل، والعاصفة قويّةٌ لدرجة أنني أخشى العودة إلى الخارج وهي تزداد سوءًا مع مرور الوقت! لا أريد المخاطرة بك... يجب أن أعود إلى الغابة لأتمكّن من إنقاذك... أعلم أن الأمر صعب الفهم، لكنْ، بشكل متناقض، هذه الزنزانة هي أفضل ملجأٍ لكِ الآن!
- "ملجأ؟ لكنّ الجنية قد تؤذيني في أيّة لحظة!"
- "آه... ما يجب أن تخافي منه ليست الجنيّة يا دينا، لكن لا تقلقي... سأجد وسيلةً لإخراجك من هنا، أعدك وأنا دائمًا أوفي بوعودي... تناولي القليل من الطعام حبيبتي."

شعرت بحزنٍ بالغٍ عندما علمت أنه سيرحل، لكنني حاولت أن أستغل الوقت الذي يقضيه بجانبي. فقضمت الثمرة وارتشفت القليل من الماء، وعلى الرغم من أنه لم يكن كافيًا، إلّا أنّني شعرتُ بالامتنان لما قدّمه لي... ومن شدة الجوع، التهمتُ الثّمرة بسرعة، فشعرت بالإحراج عندما سمعت ضحكته الخفيفة...

رفعت نظري إليه، كان وجهه يعبّر عن الحنان، فابتسم وقال:

- "لطالما أضحكتني طريقتك في الأكل، فهي عفويّةٌ وفريدةٌ..."
- "يبدو أنك تعرفني منذ زمنٍ طويل... ما هو شعورك وأنت تراني لا أتذكر أيّ شيء عنك؟"

CamScanner

- "لا أشعر بشيءٍ يا دينا، صدّقيني... لأنني أعلم أنّ قلبك يعرف ما أكون وستفهمين مدى ارتباطنا ببعضنا... ستدركين ذلك قريبًا."

نظرت إليه بتحدٍّ، وابتسامةٍ ماكرةٍ على شفتيّ وقلت:

- "ممم، تحاول أن تكون الرجل الغامض لتثير إعجابي، أليس كذلك؟"

ضحك بخفّة، ثمّ قال:

- "أوه، لقد كشفتِ سرّي، يا لها من خسارة! هل نجحت طريقتي على الأقل؟"
- "ممم، ربما... لكن احذر، قد ترتدُّ طريقتك ضدك، وستجد نفسك واقعًا في حبي."

اقترب من القضبان ثمّ وضع يده بلطفٍ على رقبتي ومرّرها برفقٍ على أحد عروقي، فشعرت بالحرج لأنّه سيشعر بنبضات قلبي المتسارعة بسبب لمسته... أمال برأسه قليلًا لينظر إلى وجهي بتمعّن... كأنه يتأملني، ثم همس بصوتٍ هادئ، وكأنه لا يريد أن يكسر السكينة:

- "ومن قال لكِ أنني لم أقع في حبكِ بالفعل؟ هل تعتقدين أنني سأفعل كل هذا من أجل شخصٍ لا أُكنّ له أيّة مشاعر أو إعجاب؟"

نظرت إليه وأنا مندهشةٌ من كلماته، وفجأة، شعرت بسائل ينساب على رقبتي حيث كان يضع يده. تفقدت المكان، فوجدت دمًا ينزف من يده... لقد كان مصابًا!

CamScanner

شعرت بالذعر، وأخذت يده بين يديَّ على الفور، فحصتها سريعًا لمعرفة مدى خطورة الجرح:

"أنت مصاب! ماذا حدث لك؟!"

"لا تقلقي، إنه جرحٌ بسيط. أصبتُ به عندما كنت أتسلّق شجرة... انزلقتُ وجرحني أحد الأغصان. لا شيء يدعو للقلق حبيبتي، سأربط الجرح وسأكون بخير."

شعرت بالذنب يجتاحني... هل أصيب بسببي؟ لكن، كما لو كان يقرأ أفكاري، قال لي:

- "لا، دينا، لا داعي للشعور بالذنب... أنتِ تعانين من جروحكِ بالأساس، لذا اعتني بنفسكِ ولا تشغلي بالك بي. محنتي هي حمايتكِ، وليس العكس..."

تنهدت بقوّةٍ وأنا أشاهده يقطع قطعةً أخرى من قميصه ليضمد جرحه، لكنه كان يواجه صعوبةً في ربط الضمادة، فأخذت يده بين يديَّ وبدأت أربطها بعناية. كان ينظر إليَّ باهتمام حينها، ولم أستطع أن أمنع نفسي من لمس يده برفق...

وبينما كنت منشغلةً بتضميد جرحه، لفتت انتباهي الساعة التي على معصمه، ودار في رأسي سؤال... كان هذا هو الوقت المناسب لأسأله عن أمرٍ طالما حيّرني:

- "هل تعلم؟ لقد أخبرتني الفتاة الصغيرة في حلمي نفس الشيء الذي قلته لي أوّل مرة كلمتني فيها."

رفع حاجبيه قليلًا وبدا متفاجئًا من كلامي:

- "كيف ذلك؟"

- "قالت لي تلك العبارة، 'تيك تاك'، نفسها التي ذكرتها لي عندما التقينا أوّل مرّة، لكن لا أفهم ما تعنيه... هل لديك أيّة فكرة؟"

ظلّ يحدّق في عيناي، وكأنه يفكر مليًّا فيما أخبرته به. ثم بعد صمتٍ ثقيلٍ، همس بلي رفق:

- "دينا، استخدامنا لنفس العبارة لا يعني بالضرورة أننا نقصد نفس الشيء."

نظرت إليه بحيرة، محاولة فهم ما كان يقصده:

- "ماذا تعني؟"

اقترب مني قليلًا وكأنه سيخبرني بسرّ:

- ""تيك تاك ليست مجرد صوتٍ متكرّر، فكل دقّة هي تذكير... كل دقّة تقربك من شيء ما، لكنّ ذلك الشيء يمكن أن يتخذ أشكالًا متعدّدة. تيك تاك لا تعني أنّ الوقت يهرب منكِ يا دينا... بل هي

CamScanner

الحقيقة التي تقترب منك، وعليك إما رؤيتها او تجاهلها... الأمر كله يعتمد على اختيارك."

- "وما هي هذه الحقيقة؟"

- "كوني صبورةً يا دينا... ستفهمين كلّ شيءٍ قريبًا، صدقيني."

تنهّدتُ بعمق، فقد كنت مستاءةً جدًّا من كل هذا الغموض. كنت أعلم أنه لن يكشف لي الحقيقة الآن، لذا قررت طرح سؤالٍ آخر:

- "حسنًا، ولكن ما الذي كانت تقصده الفتاة الصغيرة بقولها نفس العبارة إذن؟"

- "السؤال الحقيقي ليس ما كانت تقصده، بل كيف كانت عندما قالتها؟"

- "آخ، يا ليتني لم أسأل... الآن أنا أكثر حيرةً مما كنت عليه من قبل..."

ضحك ضحكةً جعلتني أبادله نوبات الضحك. آه، كم كان يقلقني بتكتمه على الحقيقة، ولكنه في الوقت ذاته كان يجعلني أضحك كثيرًا... ومع ذلك، لا أستطيع أن أنكر أنّ ما كان يخيفني هو الطريقة التي كان يختار بها كلماته بعناية، وكأنه يحاول حمايتي من حقيقةٍ مروعةٍ...

ما الذي حدث يا الله؟ ماذا فعلت؟ أو بالأحرى، ماذا فعلوا بي؟ كنت متحمسةً لاكتشاف الحقيقة والهروب من هذا المكان الملعون، وفي الوقت ذاته، كنت أتساءل: هل كنت حقًّا مستعدّةً لمواجهتها؟

توقّفت عن التّفكير، عندما وضع يده على ذقني وقال:

- "دينا، كل شيءٍ سيحدث في وقته المناسب، لا تقلقي. في هذه اللحظة، أريدك فقط أن تعلمي أنك لست وحدك..."

وضع يده على يدي وتشابكت أصابعنا برفقٍ وامتزجت دماؤنا. شعرت بارتعاشٍ في قلبي... كان شعورًا قويًا وجميلًا في هذا العالم البغيض، ولم أستطع منع دموعي من الانهمار. فنظرت إليه، وقلت بصوت هادئ:

- "كل ما أريده هو الخروج من هنا والعودة إلى حياتي الطّبيعيّة... أريد الاستيقاظ على صوت العصافير، هاهاها... نعم، أعلم أنّ الأمر قد يبدو غبيًا، لكنني أريد فقط استعادة ذاكرتي، لمعرفة الحقيقة، وعيش حياةٍ عاديّة..."

فجأة، سمعنا صدى خطواتٍ يتردّد بقوّة في الممر خارج الزنزانة، كانت تقترب شيئًا فشيئًا وتقطع الصّمت الثقيل. بينما كان الرجل المظلم يحدثني من النافذة، كانت تلك الخطوات تأتي من داخل السجن! وجّهنا نظرنا نحو مصدر الصّوت، ثم تأملته بعينيّ المرتعشتين. أمسك يدي بقوّةٍ وضغط عليها ليهدّئني، ثم همس لي بصوتٍ خافتٍ يكاد لا يُسمع:

- "دينا، لا تفقدي أعصابك! أنصتي إليّ، يجب أن أغادر الآن لأجد مخرجًا من هذه الغابة. اقتربت من اكتشاف الطريق، لكنني فقدت

CamSca

الأثر. سأعود، وأعدكِ كما وعدتك دائمًا أنني سأخرجك من هنا، اتّفقنا حبيبتي؟"

شعرت برعبٍ يغمرني... فأحكمت قبضتي على يده وقلت بنبرةٍ يائسة:

- "لا! لا تتركني! ليس الآن... ستؤذيني، أنا متأكدة! أرجوك، لا تذهب..."

ردّ عليّ بصوتٍ هادئ:

- "دينا، لا أعتقد أنها الجنيّة الغاضبة، فصوت الخطوات بطيءٌ على عكس خطواتها".

تذكرت حينها لقاءاتي السّابقة مع الجنيّة، وبالفعل، كانت كلّما ظهرت كلّما ازدادت شراسةً. قد يكون محقًّا، ربما ليست هي، إذن لمن هذه الخطوات؟ كان يحدق في وجهي بتمعّنٍ وواصل حديثه قائلًا:

- "لن أتركك هنا لو شعرت أنّ في الأمر خطورةٌ عليك، لكنني لا أظنها هي. مهما كان من يقترب، إذا رآني هنا معك، ستفشل خطّتنا. السّلاسل والقضبان لا تزال في مكانها، ولم أجد بعد طريقًا للهروب من هنا لاسيما أنّ العاصفة تشتد في الخارج. سأعود، أعدك كما وعدتك من قبل، وها أنا هنا الآن!"

- "لكن..."

CamScanner

- "ليس لدينا مُتّسعٌ من الوقت حبيبتي. فقط عديني بانكِ ستكونين حذرة! عديني بأنك ستنتظرينني، وأنك ستحمين نفسك. ولا تنسي، الفارق بين الحقيقة والكذب ضئيلٌ جدًّا، فلا تثقي بأيّ شخص."

نظرت إليه بعينين دامعتين وقلت بصوتٍ حزين:

- "ولماذا أثق بك أنت؟"

ابتسم ابتسامةً حزينةً وأجاب:

- "لم أطلب منكِ أبدًا أن تثقي بي يا دينا، ولو لمرّة واحدة. كل ما أطلبه هو أن تكوني حذرة. إذا كان عدم ثقتكِ بي سيجعلكِ في أمان، فأنا راضٍ بذلك. فقط..."

حدق في عينيّ والغموض يملأ عيناه، وكأنّه كان على وشك البوح بشيءٍ مهمٍ للغاية، لكنّه تراجع:

- "آخ، دينا، آخ... فقط أرجوكِ، كوني حذرة. سأعود، أعدكِ بذلك."

ثم قبّل يدي برفقٍ قبل أن يختفي في الظلام. ثم توجّهت نحو باب الزنزانة ووقفت أمام قضبانها، لا أعلم ماذا ينتظرني، لكنّني كنت مستعدّةً للمواجهة...

الخطوات كانت...

تقترب أكثر فأكثر...

@ART_OF_BOOK

CamScanner

وفجأة، ظهرت امرأة تبدو في الثلاثينات من عمرها، بابتسامةٍ عريضةٍ تعلو وجهها... لم تكن تدعو للقلق؛ كانت طويلةً، ذات عينين خضراوين داكنتين وشعرٍ بني فاتح... كانت ملامح وجهها عادية، وكلما اقتربت من باب الزنزانة، أصبحت رؤيتها أكثر وضوحًا...

كانت ترتدي فستانًا أزرق أنيقًا وتسير بخطى رشيقة، تحمل شيئًا بين يديها، لكنني لم أتمكن من معرفة ما هو حتى وضعت ما بدا لي كأنه مفتاح في قفل الزنزانة وفتحته... قلبي كان ينبض بسرعةٍ لدرجة أنني ظننته سيتوقف عن النبض!

ورغم أنّ علامات التهديد لم تظهر على وجهها، إلا أنني كنت أجهل هويتها، وفتحها للباب بسهولةٍ زاد من ارتباكي. في تلك اللحظة، كانت الأسئلة تتسابق في رأسي: من أين حصلت على هذا المفتاح؟ من أين أتت؟ والأهم... كيف تكون بهذه الأناقة في هذا المكان الفظيع؟ كان أمرها غريبًا حقًّا...

دخلَت الزنزانة واقتربت مني بخطوات واثقة، ثم توقفت على بعد نصف متر مني والابتسامة لم تفارق وجهها، بدت وكأنها ملتصقة بملامحها. كانت قريبة جدًّا لدرجة أنني استطعت رؤية ما كانت تحمله في يدها الأخرى... كيسٌ شفافٌ بداخله طعامٌ تفوح منه رائحةٌ شهيّةٌ جعلت معدتي تتلوى على الفور... نظرت إليّ بعينين يسودهما الفضول، وقالت بنبرةٍ هادئة:

- "تفضّلي، هذا الطعام لك."

CamScanner

نظرت إليها مستغربة، يا لها من طريقةٍ غريبة لتقديم نفسها! لا أعرفها إطلاقًا، لكنها تقدم لي... طعامًا؟ هكذا بكلّ بساطة؟ لا، الأمر يبدو سهلًا جدًّا، لكن لابدّ من أن أتحقّق أكثر:

- "عذرًا، من أنتِ؟"
- "ليس عليك أن تعرفيني، فقط تناولي الطعام."

نظرت إلى الكيس الذي كان يغري معدتي الفارغة، لكنّ تجاهلها لسؤالي زاد من شكوكي. رفعت يدي لأريها ما تبقّى لي من الفاكهة التي أعطاني إيّاها الرجل المظلم وقلت:

- "شكرًا، لكنني تناولت للتو بعض الطعام، ولا يزال لديّ القليل منه، و..."

لكن قبل أن أتمكن من إنهاء كلامي، اقتربت مني أكثر وأخذت الفاكهة من يدي ورمتها على الأرض بعنف، وقالت بنبرة هادئة دون أن تترك لي فرصةً للردّ:

- "هل هذا كل ما استطاع أن يعطيك إيّاه؟ حقًّا؟ أنتِ تستحقّين أكثر من ذلك... أنتِ تستحقّين أن تملئي بطنك بشيء أفضل. تناولي الطعام."

تصرّفها أثار غضبي بشدة، من تظن نفسها لتتعامل معي بهذا التّعالي؟ ومن أين تعرف الرجل المظلم؟ امتلأت نظراتي بالغضب، وتحول صوتي فجأةً إلى نبرة حادة:

- "الأهمّ ليس من يعطي الأكثر، بل من يعطي أولًا عندما نكون في أمس الحاجة. أين كنتِ عندما كنت في أشد الحاجة إلى المساعدة؟"

صمتَت لبرهة وهي ما زالت تنظر إليّ، ثم قالت بصوت هادئ:

- "لم أستطع أن أكون معك..."
- "بالضبط! لا أعرف من أنتِ أو ماذا تريدين، لكنه كان موجودًا عندما كنت في حاجة إليه. لذا لا تتعالي عليه! لا أريد طعامك الآن!"
- "لكن ألا ترين حالته؟ إنه قذر ومهترئ، وأنتِ تستحقين أفضل من ذلك. ثقي بي، أنتِ تستحقين السعادة..."

ابتسامتها المزعجة لم تفارق وجهها، ممّا زاد من غضبي:

- "أثق بك؟ من الجرأة أن تطلبي هذا مني! من أنتِ؟ تأتين إلى هنا دون أن تُعرّفيني عن نفسك، وتحملين طعامًا مجهول المصدر في هذا المكان العقيم، ثم تتفوهين بكبرياء عن الشخص الوحيد الذي ساعدني في البقاء على قيد الحياة... وتصفينه بالقذارة، لكنني أيضًا

CamScanner

في حالةٍ يرثى لها، فهل هذا يجعلنا أقل شأنًا منكِ لأننا لا نبدو أنيقين مثلكِ؟"

- "اهدئي، من فضلكِ. لم أقصد هذا، ما كنت أحاول قوله هو..."
- "لا! الأمر ليس بهذه البساطة... ما قيمة الكلمات إذا لم تُقارن بالأفعال؟ هل ستثقين بمن مدّ لك يد العون في أحلك الأوقات، أم بمن يأتي بعد ذلك ليستخفّ بالذين ساعدوك، هم؟"
- "أفهم ما تحاولين قوله..."
- "لا، لا تفهمين، لأنكِ على الأرجح لم تتألمي أو تضحّي من أجل شخص آخر. يبدو أن الأمور سهلة جدًّا بالنسبة لكِ."

أمالت رأسها قليلًا وقالت:

- "وماذا لو لم يكن هناك حاجة للألم بعد الآن؟"

ضحكت بمرارةٍ من افتراضها الغبي لعالم بلا ألم أو تضحيات. كلامها بدا وكأنه من عالمٍ خيالي، بعيد كل البعد عن الحقيقة المرّة التي أعيشها...

- "في أيّ عالم تعيشين؟ هذا جنون! هذه هي مشكلتكم... تعتقدون أنكم تفهمون آلام الآخرين دون أن تمشوا في دروبهم. تتحدثون كأنكم تعرفون كل شيء وتتعالون على من حولكم. من السهل جدًّا أن تقولوا 'لماذا الحرب؟ يمكننا صنع السلام'، ولكن هذه مجرد كلمات فارغة!"

فتربت مني وأمسكت بالسلاسل التي كانت تقيد قدمي... وأدخلت مفتاحًا في القفل وفتحته... بكل بساطة، وكأن الأمر لا يعني شيئًا، ثم قالت:

"ستكونين أفضل دون هذه السلاسل، أليس كذلك؟ تناولي طعامك ولا تفكري به، أنا أقدم لكِ ما لم يستطع هو تقديمه."

نظرت إليه بعينين متسعتين... الأسئلة كانت تتردد في ذهني بلا توقف: كيف تمكنت من الحصول على مفتاح هذه الزنزانة وهذه السلاسل؟ وكيف لم تظهر على ملابسها أية آثار للغابة، وكأنها لم تمر منها أبدًا؟ كل شيء يبدو سهلًا للغاية بالنسبة لها...

هل قامت بسرقة المفاتيح من الجنية؟ ولكن...كيف دخلت بهذه السهولة؟ لو كانت قد سرقت منها المفاتيح، لظهرت الجنية لا محالة للانتقام، ولكن بالعكس، كان الصمت يخيم على المكان... لا، علاوةً على ذلك، جاءت من داخل السجن وليس من النافذة. هل هذا يعني أنها متواطئةٌ مع الجنية؟ لماذا تبدو واثقةً من نفسها بهذا الشكل ومصرّة جدًّا على أن أتناول طعامها؟

دقيقة، ماذا لو...ماذا لو كانت تريد مساعدتي حقًّا؟

نظرت إليّ بابتسامتها العريضة، ثم أدارت رأسها نحو الباب المفتوح نوعًا ما وقالت:

- "بإمكانكِ الخروج إذا أردتِ..."

نظرت إليها، ثم نظرت إلى الباب المفتوح بدهشة:

CamScanner

- "إلى أين؟"
- "اخرجي وستكتشفين..."

تقدمت ببطء نحو باب الزنزانة دون أن أرفع عيناي عنها... كل خطوة كنت أخطوها كانت تقربني من الحرية. لكن هل هي الحريّة الحقيقيّة؟ فأنا لا أعرف هذه المرأة، قابلتها للتو، ورغم ذلك تطلب مني أن أثق بها وتعرض عليّ كل شيءٍ بسهولة، وكأنها تريد شراء ثقتي. ولكن لماذا؟

كانت تراقب كل خطوةٍ أخطوها، وابتسامتها تتسع أكثر فأكثر مع كل خطوة. ثم فجأة، سمعت كلمات الرجل المظلم تتردد في رأسي: "أرجوكِ، كوني حذرة يا دينا"... وبعد دقائق طويلة من الصمت والتردد، قالت بصوت يخلو من أيّة مشاعر:

- "هيّا، اخرجي الآن..."

لكنني لم أتحرك، ظللت عالقةً بين أفكاري وما يجب عليّ فعله. الفارق بين الحقيقة والكذب ضئيل جدًّا، فشعرت بأنني بحاجة إلى التفكير أكثر... بدت نظيفة وأنيقة، وقدمت لي طعامًا شهيًّا...كل شيء يبدو... سهلًا جدًّا ومغريًا أيضًا ...

قبل أن أتمكن من الرد، نَظَرَتْ إلى السلاسل الملقاة على الأرض بنظرة ندم، وكأنها تتأسف لكونها قد حررتني منها... ثم خرجت من الزنزانة وأغلقت الباب خلفها، بل إنها أخذت معها الطعام الذي عرضته عليّ... أمرها غريب.

وقفت تراقبني بصمت، ثم استدارت واختفت في الممر حتى تلاشت عن ناظري... لماذا لم تقل شيئًا آخر؟ وكأنها شعرت بالضيق من تردّدي... لكن أليس من الطبيعي أن أطرح الأسئلة؟ أن أكون حذرة؟ لماذا عليّ أن أثق بها هكذا دون تردّد؟ فقط لأنها طلبت مني ذلك؟ كل شيء يتعلق بها كان غريبًا، ومثيرًا للشك...

تراجعتُ عن باب الزنزانة وجلست على الأرض، وعلى الرغم من الارتباك الذي أحدثه لقاء تلك المرأة، إلا أنني شعرت براحةٍ عميقة لعدم وجود تلك السلاسل الملعونة حول كاحلي بعد الآن، حتى لو كان واضحًا أنها لم تكن راضيةً عن ذلك...

بدأت أُمرّر يدي بلطفٍ على الجلد المتهالك والمليء بالكدمات حول كاحلي لأساعد على تنشيط الدورة الدموية... نظرت إلى جسدي بشفقة وحزن، وكأنني جرح مفتوح. كانت كل لمسةٍ تثير ألمًا شديدًا، إضافةً إلى الصداع المستمر وآلام بطني التي لم تمنحني لحظةً من الراحة...

نظرت إلى يديّ ورأيت دم الرجل المظلم لا يزال عالقًا عليها. قد يبدو الأمر مقززًا، لكن لم أستطع منع نفسي من شم رائحة الدم، تلك الرائحة التي أعادت لي ذكرى وجوده... تذكرت ابتسامته الطفوليّة، وكلماته الحنونة، والأهم من ذلك، كلّ ما قدمه لي رغم إمكانياته المحدودة... الكلمات بلا قيمة إذا لم تُترجم إلى أفعال...

ثم استلقيت على الأرض، وأغمضت عينيّ أفكر فيه...

CamScanner

يد على قلبي،

ابتسامة على شفتيّ،

ودموع تتلألأ في عيناي...

هل هذا هو الحب؟ هل هذه هي المشاعر التي تتأجج في صدرك عندما تحمل روحًا مألوفةً وعزيزةً بين ضلوعك؟ كنت أستطيع أن أشم رائحته وأرى ملامح وجهه التي لا أملّ من تفقّدها... كان وجوده ينقصني بشدة! ورغم الألم الذي سببه لي بعده عنّي، إلّا أنني تفهّمت اضطراره للبحث عن مخرج لنا، لذا كنت أتخيله بجانبي، وهذا كان يكفيني...

وبينما كنت غارقة تمامًا في أحلامي الجميلة، انطلقت الصرخات مجددًا من خلف قضبان الزنزانة مخلّفة وراءها جوًّا كئيبًا ومرعبًا، لكنني لم أستطع أن أفعل شيئًا... لم أرغب أن أصرخ كما في المرة الأولى، خوفًا من تهديدات الجنية... الغريب أنني لم أتحرك... فالخوف أصابني بالشّلل... حاولت أن أتجاهل تلك الصرخات وأظل مختفيةً عن الأنظار المرعبة...

لا أعلم كم من الوقت مضى وأنا في تلك الحالة المريبة، لكنّ جوعي الشديد بدأ يشعرني بالقلق. وضعت يدي على معدتي محاولةً تهدئة التقلصات التي كانت تعتصر بطني، وتناولت ما تبقى من الفاكهة بينما كانت صرخات المعذبين تتردد في الخلفية. ورغم ذلك، لم يشعرني بغربة المكان سوى غيابه... آه كم افتقدته!

@ART_OF_BOOK

CamScanner

لم تستطع الفاكهة أن تسكت جوعي للأسف، فقد كان الباقي منها قليلًا جدًّا. كنت غاضبة من تلك المرأة التي أخذت الطعام معها... إذا كانت تريد مساعدتي كما ادّعت، فلماذا لم تتركه لي؟ لكن هل كان من الصواب أن أتناوله؟ أوه، ماذا لو...

- "دينا..."

لم أفكر للحظة، ركضت نحو النافذة بمجرد أن سمعت صوته، فقد اخترق روحي بأجمل طريقةٍ ممكنة... كنت يائسة، ظننت أنه لن يعود أبدًا، كنت خائفةً للغاية يا الله! أمسك برأسي بين يديه، وضم جبهته إلى جبهتي بطريقة حميميّة، وكأننا افترقنا منذ سنوات... لم يكن هناك ما يمكن أن يعيق هذه اللحظة الرائعة، حتى القضبان الحديدية لم نسمح لها بذلك...

كنا كلانا مغمضا العينين، والابتسامة تعلو شفاهنا، والنار تشتعل في قلبينا... كانت لحظة سحريّة لا تصدق... لم أكن لأتخيل أنّ رؤية شخصٍ عزيزٍ يمكن أن تحيي روحًا يائسة... ولكن فجأة، شعرت بغضبٍ طفيفٍ يتصاعد من أعماق كياني...

نعم، كنت غاضبة منه! فجأة حررت رأسي من بين يديه ثم أخرجتُ يدي من بين قضبان النافذة وصفعته قبل أن أصرخ في وجهه:

- "ما الذي أخّرك هكذا؟ هاه! لقد انتظرتك لدهر، أين كنت؟!"

نظر إليّ مستغربًا، وقال بصوت منزعج:

CamScanner

- "عذرًا؟!"

- "نعم! سمعتني جيدًا، أين كنت؟ نسيتني وكأنني لا شيء بالنسبة لك!"

رفعت يدي لأصفعه مرةً أخرى، لكنه أمسكها بقوة، وتحول وجهه إلى الاحمرار من شدة الغضب، ثم قال بصوتٍ مرتفع:

- "هل تمزحين يا دينا؟! ما الذي تفعلينه؟ هل لديكِ أدنى فكرة عمّا مررت به؟ هاه؟ هل تعلمين..."

قطع حديثه، وترك يدي، وضغط على أسنانه في محاولةٍ للسيطرة على غضبه:

- "هل ستظل الأمور هكذا معكِ دائمًا؟ هل سأبقى دائمًا مجرد دميةٍ تضربينها كلما شعرتِ بالغضب؟ كلما ساءت الأمور، تصرخين عليّ، وتضربينني، وتسيئين لي، رغم كل ما أفعله من أجلكِ؟ هل هذه هي طريقتك في معاملتي؟!"

اقترب مني عندما رأى أنني لم أرد عليه، وصاح في وجهي:

- "أجيبي يا دينا!"

- "أنا..."

@ART_OF_BOOK

- "لم تسأليني حتى كيف حالي، أنتِ... كل ما تفعلينه هو مهاجمتي واتهامي بأنني سبب جميع مشاكلك، لكن كل ما أفعله هو حمايتكِ! وهكذا تشكريني في النهاية؟!"

لم أكن أعرف ماذا أقول، شعرت وكأنّ لساني قد شُلّت حركته. وبدلًا من الكلام، كنت أراقبه بذهول، حتى أنني لم أدرك مدى سوء حالته التي كانت متدهورة بشدة؛ فقد كان مصابًا في كل مكان، وملابسه ممزقة ومبللة، وقد بدت عليه علامات الإرهاق.

كان يرتعش كالورقة، ليس فقط من الغضب، بل من البرد أيضًا، فقد كانت شفتاه مزرقتين، وكان هناك جرح صغير في عينه ينزف. كان حقًّا في حالة يرثى لها... شعرت بشيء يكسر قلبي، فقلت بصوت خافت وحزين:

- "أنا آسفة، لم أكن أقصد..."

لكنه رفع يده، مانعًا إيّاي أن أكمل كلامي، وتحول غضبه إلى حزنٍ عميق عبث بملامحه، والدموع كانت تترقرق في عينيه، حتى أنّ شفتيه كانتا ترتجفان. بدا مقهورًا لدرجة أنه لم يستطع حتى النظر في عينيّ...

وبعد دقائق طويلة من الصمت، سقطت الدموع على وجهه الجميل المرهق... لم أره في هذه الحالة من قبل... وفي تلك اللحظة بالذات، شعرت بأنني فقدته للأبد... انتهى الأمر... لكنّه في النهاية قال بصوت مهتز وهو يبكي:

CamScanner

- "لا أعلم ما الذي يجب أن أفعله أكثر يا دينا. لقد أخبرتني بنفسكِ أنه ليس لديكِ سبب لتثقي بي بعد كل ما فعلته من أجلكِ. ورغم ذلك، تحمّلت هذا الكلام الجارح حتى لا تحزني وتبقي حذرة... ماذا تتوقعين أن أشعر عندما تقولين لي هذا الكلام؟ أخبريني... ماذا يجب أن أفعل أكثر لأستحق منكِ معاملةً أفضل؟"

قلت له، والدموع تملأ عينيّ:

- "لكنني أثق بك، لو لم أثق بك لما كنت سأنتظرك... كنت على وشك أن أتبع تلك المرأة، لكن..."
- "أيّة امرأة؟ الجنية؟"
- "لا، كانت امرأة أخرى، امرأة أنيقة... قدمت لي الطعام، وحرّرتني من السلاسل، وطلبت مني أن أخرج..."

نظر إليّ بدهشة مما قلته، وبقي صامتًا لبضع ثوانٍ، وكأنه يفكر في الأمر، ثم مسح دموعه بيده وقال:

- "هل عرضت عليكِ كل هذا بدون مقابل؟ كيف تمكنت من فعل ذلك؟ من أين أتت؟"

"أتت من ممر السجن خارج الزنزانة ولم تطلب شيئًا في المقابل..."

رفع يديه وأرخاهما بجانبه، كان يبدو أنه مستاء:

CamScanner

- "لكن لماذا تحدثتِ معها يا دينا؟ لقد طلبت منكِ ألّا تتحدثي مع أحد، وأن تكوني حذرة! كان من الممكن أن تؤذيكِ... أنت ساذجة حقًّا! ألا تدركين ما يحدث هنا؟!"
- "كانت تبدو غير مؤذية، لكنني لم أستمع إليها في النهاية... رغم أنني تردّدت للحظة، إلا أن الأمر بدا سهلًا جدًّا..."
- "المظاهر قد تكون خادعةً يا دينا، وستفهمين كل شيء قريبًا. حين يبدو الحلّ سهلًا، فذلك لا يعني أنّه سيكون سهلًا بالفعل..."

اقتربت أكثر من القضبان ثم وضعت يدي عليها، وقلت له بصوت مطمئن، بينما كان ينظر إليّ بعينين حزينتين:

- "ما أحاول قوله هو إنني رغم تصرفي السيء معك أحيانًا، إلّا أنني لست عمياء... أنا أرى ما تفعله من أجلي. لن أسمح لشخص لا أعرفه أن يقلّل من شأنك."
- "آه، تحدثت عني بسوء؟"
- "نعم... لم تكن تبدو شريرة، لكنها قالت أشياء قاسية عنك، انتقدت مظهرك مثلًا..."
- "أنا فخور بمظهري، فهو ليس نقطة ضعف، بل نقطة قوة، لأنه يعني أنني على استعداد لفعل أيّ شيء من أجل الشخص الذي أعتز به. دعيها تنتقد كما تشاء، لا أهتم."
- "وأنا أشاركك نفس الرأي..."

CamScanner

هدأ، وتلاشت ملامح الغضب من وجهه، وكأنّ كلامي قد خفّف عنه قليلًا...

- "على الأقل تحرّرت من تلك السّلاسل اللعينة... هل تشعرين بتحسّن؟ هل يؤلمك شيء؟"
- "لا، أنا بخير، لا تقلق... وأنت؟"

ابتسم لي بلطف، ومسح بيده ما تبقى من دموع على وجهه، وقال:

- "أحيانًا تكون بعض الكلمات كفيلةً بترميم قلبٍ مكسورٍ وكبرياءٍ مجروح... أنا بخير يا دينا. على الأقل تحررتِ من السلاسل، وهذا سيسهل علينا الخروج من هنا. لكن لا أثق بتلك المرأة، فلا تتحدثي معها مرة أخرى. ليس بسبب انتقادها لي، بل لأنها كانت تملك مفتاح الزنزانة. الأمر غريب، هل تفهمين؟"

أومأت برأسي، وفي لحظة يأس، مددت يدي نحوه على أمل أن يأخذها... تردد للحظة، لكنه اقترب وأخذها بين يديه، فقلت له:

- "هل يعني ذلك أنّك وجدت طريقًا للخروج؟"

بدأ يمسح على يدي بحنانٍ وقال بصوت مطمئن ودافئ:

- "نعم يا دينا، لقد وجدت أثرًا حقيقيًا... أعترف أنّ الأمر كان صعبًا للغاية، لكنني وجدته أخيرًا..."

ثم استخدم يده الأخرى ليتفحص القضبان الحديدية، وقال لي:

- "كل ما تبقى هو هذه القضبان اللعينة... عليّ إيجاد طريقة لكسرها. ليست بالأمر السهل، فهي متينةٌ جدًّا..."

وبينما كان يهز القضبان، بدا عليه الإرهاق وكأنّ قوته تخذله:

- "تبدو مرهقًا جدًّا..."
- "لأنني كذلك يا دينا... أنا مرهق للغاية. كل ما أريده هو إخراجك من هنا، أن تستعيدي ذاكرتك، أن تتذكري من نحن، وأن نكون معًا أخيرًا. لكن هناك الكثير من العقبات... إنّه اختبار مستمر، ولكنني لن أستسلم..."

اقتربت من وجهه وقبّلته على خده، فتدفقت حرارة إلى وجنتي، واحتدّ لوني بالاحمرار. هذه اللفتة الرقيقة رسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه، ثم بدأ يلمس وجنتي بيده المرتجفة. أغمضت عيناي في هذا الاتصال الحميمي الذي أصبح مألوفًا لي. وبعد بضع ثوانٍ، فتحت عيناي وقلت له:

- "هل ما زلت غاضبًا مني؟ هل ستتركني؟"

ضحك برقة لدرجة أنّ قلبي شعر بالدفء... آه، حتى في أسوأ حالاته، لا يزال يحتفظ بجاذبيته... قرص أنفي برفق وقال:

- "لن أتركك أبدًا، حبيبتي... انظري، لقد جلبت لكِ بعض الفاكهة والماء..."

CamScanner

ناولني نفس نوع الفاكهة التي أحضرها لي في المرة السابقة، لكن هذه المرة كان حجمها أكبر قليلًا، ومعها المزيد من الماء. أخذتها، وبدأت ألتهمها بسرعةٍ شديدة، فقد كنت عطشى وجائعة للغاية... كان ينظر إليّ بابتسامةٍ لطيفة، ولاحظت أنه ربما لم يأكل أو يشرب شيئًا، لأنّ شفتيه كانتا جافتين جدًّا.

- "خذ، كل معي..."
- "لا يا دينا، لا تقلقي، كُلي أنتِ، أنا لست جائعًا..."
- "أرفض أن آكل وحدي. الملك يتشارك طعامه مع ملكته، أليس كذلك؟"

ضحك، ثم أخذ قطعة صغيرة من الفاكهة وقضمها، وقال وهو يضحك:

- "ألست الملك الأكثر حظًّا؟"
- "وما قيمة الملك دون تاجه؟"

ثم وضعت قارورة الماء الفارغة على رأسه كأنها تاج، فابتسمنا خجلًا وتبادلنا نظراتٍ مليئةً بالفرح.

وفجأة، نظر إلى ساعتي المكسورة وقال بصوت جاد، أقرب إلى القلق:

- "حبيبتي، لقد بقيت هنا لفترة طويلة، وكلما بقيت، زاد الخطر عليكِ..."
- "خطر من الجنية؟"

CamScanner

- "الأمر ليس مقتصرًا على الجنية فقط يا دينا... الأمر أكبر من ذلك. يجب أن أجد شيئًا يمكنه تحطيم هذه القضبان حتى نتمكن من الهروب معًا..."

- "وماذا عن الحقيقة؟ هل تعدني بأنك ستخبرني بكل شيء؟"

أمسك بذقني، وبدأ يمسح عليه بإبهامه بلطف، ثم ابتسم لي وقال:

- "أعدكِ يا ملكتي... أعدكِ بذلك. لكن يجب أن أرحل الآن قبل فوات الأوان، حسنًا؟ كوني حذرة، أعلم أنك سئمتِ من سماعي أكرر هذا الكلام، لكنني أملك سببًا وجيهًا، صدقيني... المكان هنا يمكن أن يجعل المرء يفقد عقله بسرعة للأسف..."

- "عُد بسرعة، من فضلك..."

ابتسم لي بابتسامة حزينة للمرة الأخيرة، وقبّل جبهتي، ثم اختفى في الممر الطويل...

هل مات؟ هل حدث له مكروه؟ هل أذاه أحد؟ أم أنه ببساطة... تركني ورحل؟

كانت هذه الأفكار تدور في ذهني كزوبعةٍ لا تتوقف... في العادة، كنت أعيش في غفلةٍ عن مرور الوقت، فقد سلبتني ساعتي المكسورة أيّ إحساس بالزمن، وكأنّ الليل والنهار امتزجا في لحظةٍ واحدة. لكن هذه المرة، كان الأمر مختلفًا... شعرت في أعماق روحي وكأنها ساعات، وربما أيام قد مضت. كم

CamScanner

بالتحديد؟ لا أعلم. كانت معدتي تعوي من الجوع، وشفتي تشققت من العطش، ولكن كل هذا لم يكن شيئًا مقارنةً بما شعرت به حقًّا... مقارنةً بالوحدة القاتلة.

الوحدة... ليست كما يصفها الناس، ليست مجرد فراغ، ليست العدم المطلق. الوحدة لها صوت، لها حضور يسكن كل زاوية فيك، كأفعى تتسلل إلى أعمق أعماقك. هي أنين خافت، يعزف لحنه فقط لأذنيك، صدى يملأ فراغات نفسك...

أحيانًا تكون همسًا ناعمًا،

وأحيانًا أخرى تكون ضربةً قاسية،

لكنها دائمًا... تلتف حولك، تقطعك دون سيفٍ أو سكّين...

آه، الوحدة... ليست فراغًا، بل هي حضورٌ ثقيل، يذكرك في كل لحظة بأن لا أحدَ سيأتي، بأنك منسيٌّ...

كل دقيقة مرت كانت أبدية في صمتها. وفي هذا الصمت، كنت أفتقده... افتقاده كان كجرح نازف لا يلتئم، فراغ لا يمكن ملؤه. صوته الذي كان يسكن روحي، وابتسامته التي كانت تبعث الحياة في قلبي... كل شيءٍ فيه كان يغيب عني، كأنني اقتُلعت من جذوري، ولا شيء... لا شيء على الإطلاق يمكن أن يعوّض ذلك.

هذا الفقد لم يكن مجرد غياب شخصٍ ما، بل هو أعمق... هو غياب كل ما يمثله: كلماته، نظراته، حتى سكوته... كنت أشعر بهذا الفقدان يمر في جسدي كجرحٍ لا يتوقف نزيفه.

ما لم أستطع فهمه هو لماذا ربطت غيابه بالهجر؟ ماذا لو أصابه مكروه؟ كنت أنانية، جاحدة للجميل... ربما جرفته العاصفة إلى عالم الموت، ربما أذاه أحد؟ فقد بدا عليه القلق عند رحيله... لكن هذه الأسئلة طرحتها على نفسي مرارًا... هل أفقد عقلي؟ لا... كنت أرفض تصديق أنه مصاب أو ميّت. كان من الأسهل أن أقول إنه تخلى عني...

أم تقصدين،

أكثر مأساوية؟

لأنه يعني ببساطة أنكِ لم تكوني كافية، وأنكِ لم تستحقي الحب...

لكنه لم يجعلني أشعر بذلك أبدًا... على العكس، كان دائمًا يقبّل بي كما أنا... ربما كان يقاتل من أجلي، بينما كنت أشكّ في صدقه. غمرتني أفكاري المتشابكة، ولم يعد هناك منطق.

في تلك اللحظة المظلمة، شعرت بشيءٍ ينكسر داخلي حيث طغى عليّ الحزن... رأيت العالم من حولي يتلاشى، فانفجرت ببكاءٍ مرير. لم يبقَ سوى الفراغ الذي اتسع في داخلي، ثم تحول إلى شرارة تلتهمني قبل أن تشتعل في

CamScanner

لهب يحرقني من الداخل... لماذا؟ لماذا تركني؟ لماذا فعل بي هذا بعد كل ما عانيته؟

نهضت فجأة! لم أعد أحتمل البقاء هنا، صرتُ محبوسةً كحيوانٍ في قفص! ضربت القضبان بكل ما أوتيت من قوّة مرارًا وتكرارًا، حتى شعرت بألم في يدي ونزفت قبضتي. ماذا بعد؟ اعتدت على رائحة الدم وعلى الألم الذي يرافقه... الجنية؟ فلتأتِ! سأقتلع عينها الوحيدة وأطعنها في قلبها بنفس السيف الذي تفتخر به!

كان يجب أن أخرج من هنا! لم أستطع البقاء أكثر. كنت أصرخ وأضرب، لم أعد أحتمل هذا الوضع!

ثمّ، رأيتها...

الفتاة الصغيرة كانت أمامي، وجهها خالٍ من التعابير، لكن ذلك لم يكن مهمًا بالنسبة لي. أخيرًا، لن أكون وحدي بعد الآن...

نظرت إليها مبتسمةً رغم دموعي التي لم تتوقف. كان صدري يرتجف مع كل نفسٍ وقلت لها بصوت مرتعش:

- "ماذا تفعلين هنا؟"

لكنها لم ترد... لم تتحرك... لم تقترب...

@ART_OF_BOOK

CamScanner

نظراتها كانت باردةً وبعيدة، ورغم أنني توقعت أنّ وجودها سيخفّف من وحدتي، إلّا أنّ ذلك لم يحدث. بل اكتفت بمراقبتي في صمت، دون أن تنطق أو تتحرك. ثم، بكل بساطة، استدارت وابتعدت، تاركةً وراءها فراغًا أكبر ممّا كان.

بقيت جامدة، غير قادرة على فهم تصرفها معي وتجاهلها لمعاناتي. هل هذا هو النّقاء؟ هل هذه هي البراءة؟ فجأة، تذكرت كلمات الرجل المظلم: "أحيانًا يكمن الشر حيث لا تتوقعينه يا دينا". ماذا لو... لا، لا أظن ذلك. حتى وإن أدارت ظهرها لي، فهي لا تزال طفلةً صغيرة وبريئة...

عاد الغضب ليشتعل في داخلي، وكانت نيران الاستياء تتصاعد... كنت غاضبة منه، غاضبة من نفسي، ومن كل ما يحيط بي. لقد سجنت في هذا الجحيم، لكن الرغبة في التحرر كانت أقوى من أيّ عائق. ضربت القضبان بكل قوتي ودموعي تتدفق. ثم، في لحظة غير متوقعة، رأيتهم خلف القضبان...

المرأة الأنيقة والفتاة الصغيرة عادتا، ولكن هذه المرة كانتا معًا... كان وجهاهما هادئين ومطمئنّين... وقفتا على بُعد خطوات قليلة مني، وفكرت للحظة أنه ربما يمكنني أن أثق بهما. فتحت المرأة باب الزنزانة بسهولةٍ تامة وبدون أي تردّد. تقدمتا نحوي بابتسامة خفيفة لا تفارق شفتيهما. فتساءلت في نفسي، هل كان شكّي في غير محله؟

- "دينا، اخرجي... الأمر سهلٌ جدًّا، انظري!"

CamScanner

نعم، بدا الأمر سهلا...

- "خطوات قليلة فقط يا دينا..."

لم لا؟

أردت أن أتبعهما... كان يجب أن أخرج من هنا، فلم يعد لديّ أيّ خيار آخر. ومع ذلك، كنت مرتبكة بشأنهما. رغم ابتسامتهما، انتابني شعور مزعج. كيف تعرفان بعضهما؟ ولماذا تبدوان هادئتين وكأنّ كل شيء قد حُسم بالفعل؟ كان الأمر مزعجًا. ثم الفتاة الصغيرة التي كانت باردة في السابق، تبتسم الآن... هل هي منافقة؟ ربما... أو ربما أنا التي زادت شكوكي بشكلٍ مفرط، قد تكون المشكلة منّي...

مدّت المرأة يدها نحوي بلطف، وصوتها الهادئ يتردد في أرجاء الزنزانة:

- "الحرية هنا، على بعد خطوات قليلة منكِ. تعالي..."

كان الأمر يبدو بسيطًا للغاية... شعرت بقدميّ تقودانني نحو الخارج. لم لا؟ لماذا أعقّد الأمور بينما الحل قريب جدًّا؟ مدت الفتاة الصغيرة يدها هي أيضًا، وقالت بصوت ناعم، والابتسامة ما زالت تعلو وجهها:

- "يمكنك الوثوق بنا..."

كانتا تبدوان مغرورتين بثقتهما الزائدة... كل شيء بدا... سهلًا جدًّا ومغريًا للغاية. قالت المرأة مجددًا وبإصرار:

CamScanner

- "لن يعود، دينا. تعالي، لا توجد طريقةٌ أسهل من هذه..."

كانت تمد يدها لي مجددًا، نظرتها ناعمة لكنها تحمل إلحاحًا غريبًا... لماذا كانتا تصرّان بهذه الطريقة؟ أمرٌ غريب... لكن لا يهم. أمسكت بيديهما، وخطوت خطوة، ثم خطوة أخرى. كانتا تسحباني برفق نحو الخارج، وكلما تقدمت خطوة، كانت تبتعدان خطوة للخلف، وكأنهما تدفعاني نحو الخروج...

- "لن يعود من أجلك..." همست المرأة مرة أخرى.

عند سماعي لهذه الكلمات، شعرت بضغط شديد في صدري. هل فعلًا تخلى عني؟ كنت ممزقة بين الشك واليقين. ما الذي كنت سأخسره؟ كنت متعبة ومستنزفة، وكانت الحرية تبدو الآن أقرب مما كنت أتصور. كانت تبدو مستحيلة في البداية، لكنها الآن صارت في متناول يدي. لماذا أقاوم؟ لماذا قد ترغبان في إيذائي؟ رغم إصرارهما، بدتا لطيفتين، وكأنهما لا تحملان أيّة نيّة سيئة.

كنت أقترب من الخروج، ولم تتبقَّ سوى خطوات قليلة...فجأة، سمعت صوتًا مألوفًا يخترق الصمت:

- "دينا! دينا، لقد وجدته! أخيرًا وجدته!"

كان هو... الرجل المظلم!

قفز قلبي في صدري عندما التفتُّ إلى النافذة ورأيته خلف القضبان... كانت عيناه مليئتان بالحزن، تبحثان عن عيناي بيأس. كان يحمل أداة في

بدء، ربما لكسر القضبان؟ حالته تدهورت؛ كان متعبًا، وملابسه مبللة أكثر وكأنه خاض معركة. لكن ما أثّر في نفسي أكثر من حالته الجسدية، هي نظرة لألم في عينيه... أو ربما خيبة الأمل؟

خيّم الصمت برهة، وكان مشحونًا بالتوتر الذي كان يثقل المكان. وسرعان ما كان هو أول من كسر هذا السكون بصوت متألم وجريح:

- "ما الذي يحدث يا دينا؟ لا أفهم..."

بقيت صامتة، عاجزة عن الكلام. ثم أخيرًا، همست بصوت مرتجف:

- "أين كنت؟"
- "ماذا تعنين بسؤالك عن مكاني؟ أنتِ تعرفين جيدًا يا دينا. كنت أبحث عن أداة لكسر هذه القضبان... نحن في مكانٍ ناءٍ تمامًا، وقد سِرت لساعات طويلة، عائدًا إلى القرية وباحثًا عن أي شيءٍ يفيدني. لكنني وعدتك أنني سأعود..."

كانت ملامح الحيرة والانكسار تغطي وجهه بالكامل، ثم أعاد الكلمات بصوت مليء بالحزن:

- "لقد وعدتكِ أنني سأعود..."

شعرت بصوتي يختنق من شدّة الحزن:

- "لكنك تأخرت كثيرًا..."

CamScanner

هز رأسه بأسى وعلت ملامحه آثار اليأس، وتلألأت عيناه بالدموع التي كان يكافح بشدة لكبحها:

- "أعتذر إذا لم يكن كل شيء سهلًا كما تمنيته... أعتذر إذا لم أتمكن من منحك كل شيء بنفس السهولة التي قدمتاها..."
- "أرجوك..."

انحبس صوته، ورأيت الدموع تغمر عينيه، لكنه رفض البكاء، كان يقاوم مشاعره بقوة غير عادية:

- "أعتذر يا دينا لكوني أنا... أعتذر إن لم أكن كافيًا لك. هل هو مظهري، أو شيء قلته أو فعلته؟ أعلم أنني لست كاملًا، ولا أزعم ذلك، ولكن..."

تنفس بعمق، محاولًا تهدئة نفسه، لكنّ صوته كان محمّلًا بالألم:

- "لا، لن أبكي مجددًا. أنا... لقد فعلت كل ما في وسعي منذ البداية لحمايتك، والاعتناء بك، و..."

هز رأسه، وخفض عينيه؛ كان تائهًا...

- "وأنتِ... أدرت ظهرك لي... هكذا بكل بساطة..."

لم أستطع رفع عيناي عنه، رأيته كم كان يتألم بسببي، لقد خذلته...

CamScanner

- "الأمر ليس كما تظن، لقد انتظرتك طويلا ، ولم اعد استطيع حمل الانتظار، أنا..."

وضع يديه على وجهه، محاولًا إخفاء دموعه مرة أخرى، ثم همس مقاطعًا حديثي:

- "لقد اتخذتِ قرارك يا دينا... لن أوقفك."

كانت المرأة تسحبني بلطف نحو الخارج، وابتسامتها لا تفارق وجهها:

- "تعالي يا دينا، لم تبقَ سوى بضع خطوات. اتركيه..."

كانت شفتاه ترتعشان كأنهما تكافحان لاحتواء صرخة ألم، بينما كان هو يقاوم البكاء في صراع خاسر، وفي النهاية سقطت دمعة أخيرة على خده... أدار رأسه فجأة، وكأنه يداري الخجل، لا يريدني أن أراه ضعيفًا في هذه الحالة. ثم نظر بلمحة سريعة إلى الطفلة والمرأة الأنيقة بحزن وحرّك رأسه كأنه يقول 'لا'...

بدا وكأنه عاجز عن تحمل نظرتي أكثر، غارقٌ في عمق حزنه وخيبة أمله... رأيته يستدير ويبدأ في الابتعاد ويختفي تدريجيًا في الظلام. كل خطوة يخطوها كانت تأخذ جزءًا من قلبي معها، وكنت أشعر بحزن دفينٍ يتغلغل في أعماقي. رحل... تمزق قلبي من الألم، بينما اجتاحتني حرارة خانقة التهمت روحي المعذبة. فقدت الرجل الذي ساعدني، الرجل الذي أحبني وأحببته...

لا استطيع أن أسمح له بالرحيل هكذا، خاصة بعد كل ما مررنا به، ليس بهذه الطريقة...

وبصوت مثخن بالأسى، ناديته:

- "انتظر! لا تذهب... أرجوك!"

توقف واستدار ببطء، مدهوشًا مما سمعه.

- "دينا... اسمعيني..."

قلت له مقاطعة، بينما صوتي يتخلله الألم:

- "لا، أرجوك، اسمعني... أعلم أنني آذيتك وأنا أعتذر لك..."
- "دينا..."
- "دعني أكمل من فضلك... نعم، اعتقدت أنك تخليت عني، وكنت أشعر بالوحدة والخوف والجوع. كنت في حالة يرثى لها، نسيت أنك دائمًا ما كنت تعود. لقد كانت الطريق التي فُتحت لي مغرية وسهلة للغاية، وتعلم أنني تعبت وسئمت من هذا المكان، لكنني الآن أطلب منك... لا تتركني."

قبل أن أنهي كلامي، رأيته يقترب من النافذة بسرعة، ثم استعمل الأداة التي أحضرها ليكسر القضبان الحديدية. وبمجرد أن سقطت القضبان على الأرض، قفز إلى الداخل ليشاركني زنزانتي... جذبني إليه، وضمني بين ذراعيه بقوة. شعرت بدموعه تنساب على عنقي...

لم أستطع مقاومة البكاء، وظللنا على هذ الحال لوقت لم أستطع تحديده. ثم التفتُّ لأرى الفتاة الصغيرة والمرأة... كانتا تنظران إليّ ببرود غريب. أين

ذهبت تلك الابتسامة التي كانت تملأ وجهاهما؟ كيف تحوّلتا إلى هذا البرود الجارح؟

كانتا واقفتين في سكون، ثم استدارتا وخرجتا من السجن وأغلقتا الباب من خلفهما دون أن تنطقا بكلمة واحدة... برودة ملامحهما اخترقتني، وأثارت قشعريرة في جسدي كله... قبل دقائق كنت على وشك اتباعهما بكل ثقة يا إلهي، هل كانتا تسعيان للانتقام مني أم منه؟

نظرت إليه مجددًا، وكأنه قد قرأ أفكاري. أمسك برأسي بلطف بين يديه، ووضع جبينه على جبيني، ثم قال بصوت خافت مملوء بالمشاعر والرقة:

- "لا تخافي يا دينا... سأشرح لك كل شيء. ستفهمين، أعدك. كنت أعتقد أنني فقدتك إلى الأبد..."

كان يمرر يديه برفق بين شعري ويقبّل يديّ، وشعرت بقلبي يستعيد نبضه الطبيعي...

- "تعالي، سأساعدك على الخروج. اصعدي على راحتيّ..."

أمسكت بيديه كنقطة ارتكاز، وخرجت من تلك الزنزانة البائسة أخيرًا، وتبعني على الفور... ابتسم لي، وأمسك بيدي مرة أخرى، وبدأنا نسير معًا في النفق، تاركين خلفنا ذلك السجن البغيض...

@ART_OF_BOOK

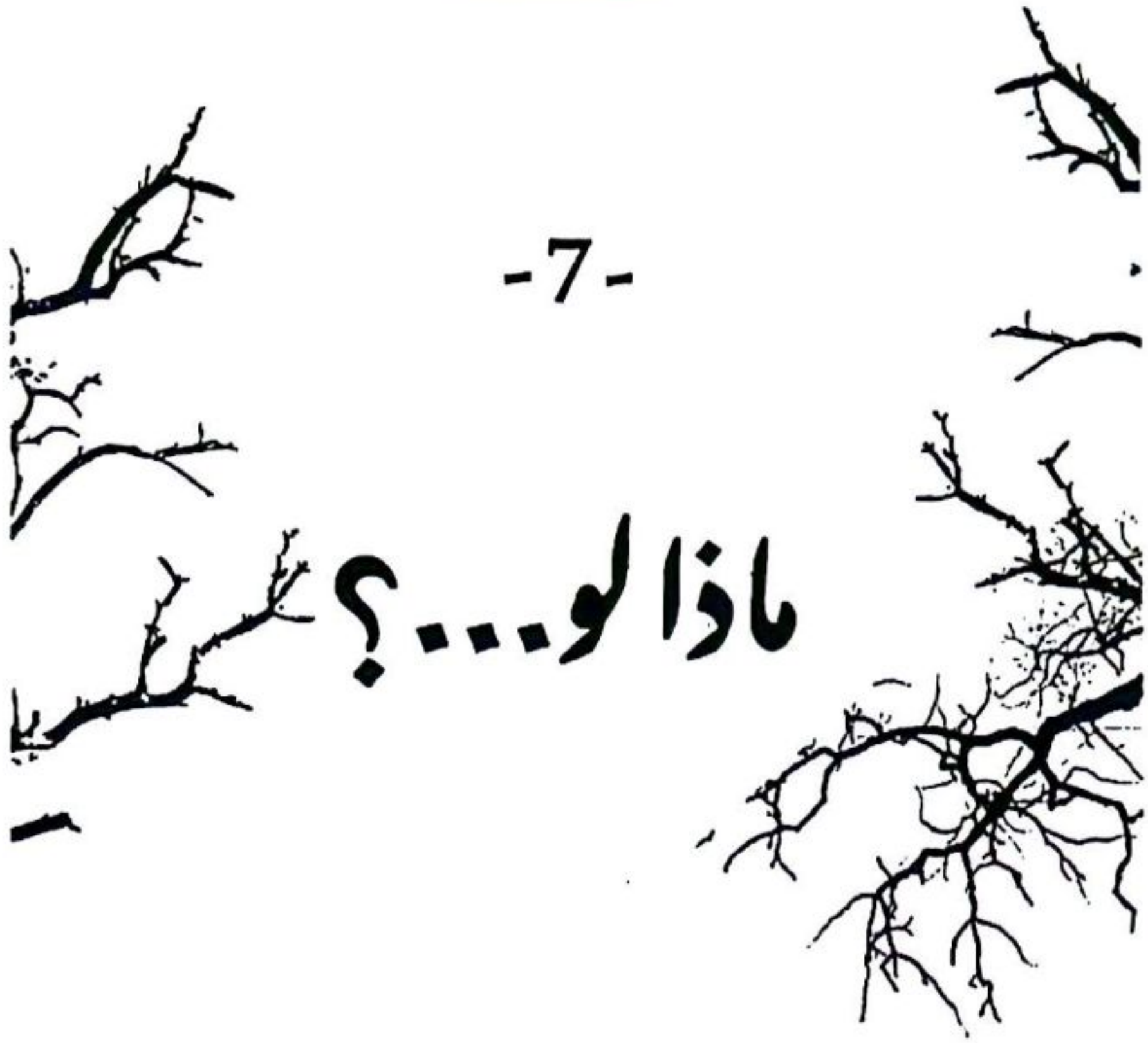

CamScanner

امتد النفق أمامنا كأنه بلا نهاية، مظلم ورطب... كل خطوةٍ خطوتها التهمت أنفاسي... كان الهواء ثقيلًا، التصق بجلدي وأثار في روحي قشعريرةً رهيبة. كنت أتوق إلى الخروج أخيرًا، أن أتنفس هواءً لا يحمل هذا العبء الثقيل...

كانت يدي التي أمسكها الرجل المظلم ترتجف، لكنه شدَّ عليها بقوة، وكأنّ صمته يخبرني بأنه لا يزال هنا... كان يلتفت لي بين الحين والآخر مبتسمًا، تلك الابتسامة الرقيقة التي كنتُ أنسى بها بشاعة المكان.

تداعت الدقائق واحدة تلو الأخرى، وكأنها تمتد إلى ساعات طويلة، حتى برزت أمامنا درجات متآكلة، عافتها الرطوبة وعبثت بها السنين... بدأنا نصعدها ببطء، وكأننا نتوجه نحو مصير مجهول... كنا بالفعل في جوف الأرض، فشعرت أنّ الهواء يختفي من حولي، وأنّ الخوف يتسلل إلى أعماقي كموجات لا يمكن إيقافها...

لكن قبل أن يتملكني الرعب تمامًا، بلغنا القمة... دفع الرجل المظلم ما بدا وكأنه قطعة حديد صدئة، ووجدنا نفسينا في قلب الغابة... تلك الغابة اللعينة مجددًا! وعلى الرغم من أنّ المطر لم يكن ينهمر بغزارة، إلا أنه كان على شكل زخات، وكأنه يذكرني بحقيقة كنت أدركها مسبقًا: أنني ما زلت محاصرة في هذا المكان المفزع. نعم، الغابة لم تفقد رعبها، كانت كما عهدتها مخيفة، لكنني على الأقل لست وحيدة...

نظرتُ إليه، فابتسم لي:

CamScanner

"هل أنتِ بخير حبيبتي؟"

- "نعم، شكرًا لك... لكني أريد الخروج من هنا... لم أعد أتحمل."

اقترب مني بلطف، ووضع يديه على كتفي وقال بهدوء:

- "أفهمكِ يا عزيزتي... لقد اقتربنا؛ والعاصفة ستحلُّ قريبًا. كلما أسرعنا، اقتربنا من الخروج."

رفعتُ عيناي إلى السماء، وشعرتُ بقلبي ينبض بقوة، فسألته:

- "وستخبرني بالحقيقة أيضًا، أليس كذلك؟!"

أجابني بطمأنينة:

- "الحقيقة جزءٌ من الرحلة يا دينا... ولكن الآن، عليكِ فقط أن تتبعيني... علينا أن نواصل السير."

أمسك بيدي مرة أخرى وسرنا معًا... كان يلتفت إلى الخلف بين الحين والآخر، كأنّ شيئًا ما يطاردنا. لم أستطع منع نفسي من النظر أيضًا. ماذا لو كان هناك شيء يتبعنا؟ يسعى لإيذائنا؟! بدأت قدماي ترتجفان بسبب المشي السريع، فتوقفت وأنا ألهث... وضعت يديّ على ركبتيّ، والعرق يغمر وجهي. بدأت أفقد أنفاسي، وكأنها ستتوقف في أيّة لحظة...

ألتفتُّ إلى اليسار لأجد مسجدا شامخًا وضخمًا... اجتاحني خوفٌ رهيب! هذا يعني أننا...

توقف الرجل المظلم، وانحنى ليصبح على مستوى عينيّ:

- "ما الأمر يا حبيبتي؟ يجب أن نواصل... لا يمكننا التوقف هنا."

هززت رأسي بقوة، وقد تملكني الخوف:

- "لا... أرجوك، لا أستطيع العودة إلى هناك... أنا خائفة... لا أريد!"

أصبح صوته أكثر رقة، وأكثر إقناعًا:

- "دينا، اهدئي..."
- "لا... أنت لا تفهم!"

أجاب بهدوء وبعمق بدا وكأنه يفهم كل شيء:

- "دينا... أفهم أكثر مما تتخيلين. لكن هذه هي الطريقة الوحيدة للخروج من هنا. أنا معكِ... لن أتركِكِ... علينا فقط أن نكمل طريقنا، وقريبًا ستتضح لك الأمور."

كانت أنفاسي متقطعة، وقلبي ينبض بألم... شعرت أنني على وشك الانهيار. رفعني برفق وقال:

- "لا يمكننا التوقف الآن، ليس بعد كل ما مررتِ به. عليك أن تثقي بي... هل يمكنك ذلك؟"

نهضت أخيرًا، وأومأت برأسي... نعم، بعد كل ما مررت به، لم يكن بوسعي الانهيار الآن. كانت الحقيقة هناك، في مكان ما، وكان عليّ أن أجدها!

CamScanner

ابتسم، وكأنه شعر بالارتياح، ثم ضمني بين ذراعيه وهمس بصوت هادئ:

- "أنا هنا... لا تقلقي... هذا جزء من الرحلة يا دينا، لا تخافي... "

كنت أحدق في المسجد ونحن نبتعد عنه شيئًا فشيئًا، وكأنني أفقد شيئًا من نفسي مع كل خطوة. شعرت بحزن عميق، كأنّ كل ما عشته هنا ينتمي إلى زمنٍ بعيد... لكنني كنت أعلم أنّ كل هذا التعب سأرميه خلفي قريبًا...

واصلنا السير بسرعة... بدأت الغابة تكشف تدريجيًا عن منازل متناثرة في الأفق، كأنها أشباح تراقبنا بصمت... كانت السماء تتلألأ بين الحين والآخر بوميض البرق، مسلطةً ظلالًا مخيفة على الأرض المبللة بالمطر. أما العاصفة، كانت تقترب، عاتية، لا تمنحنا أيّة مهلة، كما كان الحال دائمًا في هذا المكان اللعين...

اقتربنا أكثر من المنازل، وعندما كنت على وشك أن أسأل سؤالًا، شعرت فجأة بشيء يجمد قدميّ... لم يكن ذلك اختيارًا مني، بل توقفت قدماي فجأة، وكأنهما التصقتا بالأرض! حاولت بكل الطرق أن أرفعهما، لكن دون جدوى... بدأ الفزع يتصاعد في داخلي، وصرخت للرجل المظلم:

- لا أستطيع التحرك! قدماي عالقتان!"

التفت إليّ بسرعة، والقلق مرسوم على وجهه... عاد إليّ بخطوات سريعة، ثم ركع أمامي محاولًا تحرير قدمي. جذب بلطف في البداية، ثم بذل جهدًا أكبر،

CamScanner

لكن بلا جدوى. كانتا كأنهما مغروستان في الأرض، وكأنّ لعنة ما قد حلّت بهما!

- "اسحب بقوة أكثر... أرجوك! لا أستطيع البقاء هنا! ماذا لو..."

قاطعني بصوت مضطرب:

- "دينا، إذا سحبت بقوة أكثر، قد أكسر كاحليك..."

شعرت بالرعب يجتاحني كعاصفة باردة... نظر إليّ بارتباك، ثم همس بصوت خافت:

- "لقد حان الوقت..."

حدقت فيه، والحيرة تعتصر قلبي:

- "أي وقت؟ ماذا...؟"

لكن قبل أن أكمل سؤالي، هزت كياني أصوات قوية... صرخات تصاعدت من بعيد مملوءة بالرعب لدرجة تجعل الأصم يسمع... تعالت تلاوات من سورة التحريم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا"...

تسارعت نبضات قلبي حتى شعرت أنه على وشك الانفجار... وضعت يديّ على أذنيّ في محاولة يائسة لتهدئة الضجيج، لكنني أدركت سريعًا أن تلك الأصوات لم تكن تأتي من الخارج، بل من أعماق عقلي! كانت رائحة الحريق

CamScanner

تنتشر في أنفي، وكان رأسي ينبض بالألم... شعرت وكأنّ عقلي يحترق تحت وطأة هذا العذاب...

ماذا يحدث يا الله؟ هل كنت أفقد عقلي؟! كانت الأفكار تتدفق إلى رأسي كأنّ صاعقة قد عصفت بي... كنت أصرخ بأعلى صوتي، أصرخ من الألم، من الخوف، من العجز...

- "أوقفهم! أرجوك... أوقفهم!"

كنت في حالةٍ هيستيرية، وكانت صرخاتي تتردد في الفضاء، لتتناغم مع صرخات الرعب التي تدور في عقلي. كانت السماء تشتعل بالصواعق، والمطر يتساقط بغزارة، بينما البرق يضيء وجهي المليء بالتعاسة... شعرت بيد الرجل المظلم تهزني بقوة، محاولًا إعادتي إلى وعيي، لكن الصوت في رأسي كان أقوى، وأعنف، لم أستطِع السيطرة عليه!

وفجأة، بدأت الأصوات تبتعد... كأنها تخرج من رأسي وتحاصرني. ومن بين كل تلك الأصوات، سمعت صوتًا واحدًا مألوفًا يخترقني... لكنني لم أكن أرغب في تصديق ما سمعته. لا، لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا، يا إلهي!

فتحت عيناي ببطء، خشية ما قد أراه... لكنّ رؤيتي كانت ضبابية ومشوشة، وكأنني كنت مخمورة. ثم ركزت نظري، فرأيتها...

كانت الطفلة الصغيرة! ملقاة على الأرض هناك، تتعرض لضربات وحشية... وعلى يمينها المرأة الأنيقة التي زارتني في السجن بالكاد استطعت

تميزها، كانت جالسة في الوحل، ضامة ركبتيها إلى صدرها. وهي تبكي، مرعوبة...

نظرت مجددًا إلى الفتاة الصغيرة؛ كانت تصرخ، تستجدي الرحمة...

تذكرت الحلم... كل شيء كان كما في ذلك الحلم اللعين يا ربي! العاصفة. الطفلة، العذاب... كيف يمكن أن يحدث هذا؟ لكن هذه المرة، كنت أريد أن أرى من كان يضربها... من كان يؤذي هذه الطفلة الصغيرة بهذا الشكل؟!

رفعت نظري... كانت هي مجددًا! الجنية مشتعلة بنار الغضب. كانت ملامحها مرعبة، وجلدها محترق حتى أصبحت كتلة من عروق منتفخة دامية، واللعاب يسيل من فمها. كانت ترفع السوط وتضرب به جسد الطفلة النحيل الذي امتلأ بالكدمات والجروح، وأصبح مضرّجًا بالدماء!

نظرت إلى الرجل المظلم الذي كان مذهولًا، غير قادر على الحركة، كأنه عاجز عن التصرف! أردت أن أصرخ طلبًا للمساعدة، لكنّ صراخ الطفلة جذبني مجددًا نحوها... حاولت تحريك قدمي، لكن دون جدوى وشعرت أنني مقيدة، لماذا يا الله لماذا؟! لم أستطع سوى الصراخ، متوسلة إلى الجنية الغاضبة:

- "أرجوك... دعيها! إنها مجرد طفلة! كيف يمكنك فعل هذا؟!"

لكن توسلاتي قاطعتها الطفلة بكلامها الذي كان موجهًا إليّ، وليس إلى الجنية:

CamScanner

- "أرجوكِ... توقفي... سأموت... ارحميني، أرجوكِ."

شعرت بقشعريرة تسري في جسدي؛ الفتاة لم تكن تتوسل للجنية. لا... لقد كانت تتوسل إليّ! لماذا تنظر إليّ هكذا؟!

فجأة، التفتت الجنية الغاضبة نحوي، وعينها الوحيدة كانت تشتعل بنار الغضب. كانت تلك النظرة كافية لشلّ كل حركة في جسدي! لكن قبل أن أستوعب ما يحدث، رفعت الجنية يدها وضربت الطفلة بقوة على رأسها، ثم صرخت في وجهها:

- "اخرسي أيتها الحقيرة!"

نظرت بفزع إلى المشهد الذي أمامي، بينما شعرت بشيء دافئ يسيل على وجهي وينحدر على رقبتي... وضعت يدي المرتجفة على رأسي، وعندما نظرت إليها، كانت الدماء تغطي أصابعي!

ثم انفجر ألم شديد في كل كياني، كأنّ دمي يغلي في عروقي... وكأنني أُحرق من الداخل. نظرت إلى جسدي، فوجدته مغطى بالكدمات والجروح، وكأنّ كل ضربة وُجهت إلى الطفلة الصغيرة كانت تنعكس عليّ.

كان هذا الاكتشاف المرعب هو ما أعادني إلى وعيي... بدأت أصرخ بأعلى صوتي، ألتمس من الجنية أن تتوقف:

- "توقفي! أرجوك! إنها طفلة صغيرة!"

كانت الطفلة مستمرة في البكاء والتوسل إليّ، ووجهها مشوّه بالدماء والجروح حتى لم أعد أستطيع تمييز ملامحها. كان الدم في كل مكان... نعم في كل مكان! يا إلهي!

لا، كان يجب أن أفعل شيئًا! نظرت بسرعة إلى الرجل المظلم الذي كان يقف هناك، مصدومًا وساكنًا، وصرخت فيه بكل قوتي، محاولة إيقاظه من حالة الجمود:

- "أرجوك، ساعدها! لا تزال هناك فرصة لإنقاذها، أنت تستطيع التحرك، يجب أن تفعل شيئًا! أنقذها، أنقذني!"

التفت إليّ بعينين واسعتين، كأنه لا يعرف ماذا يقول أو يفعل:

- "أرجوك، افعل شيئًا!"

انتفض أخيرًا، وكأنه استيقظ من كابوسه أخيرًا. هز رأسه وبدأ يتحرك بسرعة نحو الجنية... كانت مشغولة بضرب الفتاة لذلك لم تلاحظ اقترابه منها...

أخرج من جيبه سكّينين، وشعرت بالأمل لأول مرة... سوف ينقذنا!

رفع ذراعه ليوجه الطعنة للجنية، لكن في اللحظة الأخيرة استدار... وغرس السكين في بطن الطفلة الصغيرة!

صرخة الطفلة مزقت الصمت، وامتزجت بصوت الرعد المتفجر فوقنا... رأيت الدم يتدفق من جسدها، ويتساقط على الطين تحتها.

وقبل أن أستوعب ما حدث، رفع الرجل المظلم سكّينه الثاني، وبحركة سريعة، رمى به نحو رأس المرأة الأنيقة... سقطت ميتة على الفور، بينما وقف هو ببطء... سحب السكين من جسد الطفلة بوحشية، ثم انفجر ضاحكًا! كانت ضحكته مرعبة، مجنونة... أما الجنية، فقد تنحّت جانبًا، تراقب ما يحدث بلا حراك...

كنت أحدق فيه وقلبي يخفق بشدة... كان السكين المغطى بالدماء يهتز بسبب ضحكته المريضة، وعيناه تغمرهما مشاعر الغضب... كيف تحولت ضحكته من ساحرة وجذابة إلى بشعة ومخيفة يا رباه!

رأيت الفتاة الصغيرة تضع يدها على بطنها محاولة كبح نزيفها، بينما هو يقف فوقها، ناظرًا إليّ مباشرة في عينيّ... وعلى الرغم من الخوف الذي اجتاحني، لم أستطع منع نفسي من الصراخ في وجهه:

- "لماذا فعلت هذا؟! أجبني، لماذا يا الله!"

انقبض حاجباه فجأة، وكأنّ سؤالي بحد ذاته كان إهانة له:

- "لماذا يا دينا؟! هل حقًّا تسألينني؟!"

اختفت ابتسامته وحلت محلها ملامح من الاحتقار... أصبحت عيناه أكثر قتامة... وفجأة، انفجر في ضحكة هستيرية، ضحكة زائفة مخيفة:

"هل تجرئين حقًّا على طرح هذا السؤال أيتها الحمقاء؟ لا... لا، آسف... لكنني فعلت هذا لحمايتك، لحمايتنا يا دينا!"

كنت مصدومة من هذا التحول المفاجئ في سلوكه، وكأنني لم أعد أعرف الشخص الذي يقف على بعد بضعة أمتار مني. هززت رأسي في حيرة تامة:

- "تحميني؟! بقتل امرأة بلا حول ولا قوة، وغرس سكين في بطن طفلة بريئة؟ ما الذي تقوله؟!"

وجه السكين الملطخ بالدماء نحوي، وعيناه تلمعان بالغضب:

- "تلك المرأة التي تدافعين عنها... ماذا قدمت لكِ؟ وهمًا عابرًا؟ وعدًا كاذبًا بحياة بلا ألم؟ ماذا تعرف هي عن الحياة؟ عن الألم؟ عن هذا العالم القاسي يا دينا؟! جاءت إليكِ بوعدٍ جميل، لكنها لم تكن معكِ عندما كنتِ تصرخين من الألم! عندما كانت كل خطوة تمزقكِ من الداخل! والآن، تأتي وتقدم لكِ مخرجًا سهلًا، وكأنَّ كل شيء يمكن أن يُحل بين عشية وضحاها؟ كأنَّ كل مشاكلكِ ستتلاشى بهذه السهولة؟! كلماتها لم تكن قادرة على شفاء جروحكِ المتعفنة!"

بقيت واقفة أحاول الرد، لكنَّ لساني كان ثقيلًا، وكأنَّ الكلمات لم تعد تجد طريقها إلى شفتيّ، فهمست بصوت خافت:

- "ماذا لو كانت على حق؟ ماذا لو كان هذا هو الحل الصحيح؟!"

اقترب مني بسرعة، وجهه ملتوٍ بغضب مجنون:

CamScanner

- "لا شيء في هذا العالم سهل يا دينا! كانت تقدم لكِ وهمًا، حلًا سطحيًا لمشاكل أعمق بكثير. عاجلًا أم آجلًا، كانت جراحكِ ستفتح من جديد، وستتعفنين... وستتألمين أكثر... وأكثر!"

حاولت الدفاع عن نفسي، لكن الكلمات تلاشت في فمي:

- "وماذا لو كنت مخطئًا؟ ماذا لو..."

قاطعني بصوت صاخب، وجهه مشوه بالغضب:

- "إذًا... لماذا لم تتبعيها؟ لماذا اخترتني أنا؟ ها؟ اسألي نفسكِ هذا السؤال يا دينا!"
- "لأنني وثقت بك!"

كانت عيناه تلمعان بنظرة غير طبيعية، كأنها نظرة مهووس غارق في جنون لا رجعة فيه... كان السكين ما زال في قبضته، يتأرجح بين أصابعه المشدودة:

- "الثقة؟ لا يا دينا... لم تكن مسألة ثقة. لقد اخترتني لأنكِ تعرفين في أعماق روحكِ أننا مرتبطان! نحن متصلان بحبلٍ خفيٍ لا يمكن لأحد أن يقطعه. مهما حاولتِ، لا يمكنكِ الهروب مني. ولا شيء في هذا العالم يمكنه فصلنا الآن! كنتِ تعلمين أنني الوحيد الذي يمكنه أن يقدم لكِ الحل، الحل الحقيقي، وليس حلًا مؤقتًا كضمادة ستتلوث قريبًا..."

CamScanner

نظرت إليه وأنا غير قادرة على تصديق ما أسمعه... شعرت بالخيانة... لكنه استمر في الحديث، وضحكته المجنونة تتردد في الغابة الصامتة:

- "أوه... لا تنظري إليّ بهذه الكراهية يا دينا. أنتِ وأنا... نفهم القسوة التي يخفيها هذا العالم. هي كانت مجرد أمل عابر، سراب... أنا أملُك الحقيقي يا دينا، ليست هي."

لكن قبل أن أتمكن من الرد عليه، سمعت أنين الطفلة مجددًا... تحاول التقاط أنفاسها الأخيرة، وكأنّ الحياة تسحب منها ببطء. فتحت عينيها بصعوبة، وبصوت ضعيف مملوء بالألم، نادتني:

- "دينا..."

التفت الرجل المظلم نحوها بغضب:

- "اخرسي!"

ثم، وبشكل غير متوقع، تشكلت على وجهه ابتسامة شريرة، وكأنّ فكرة خبيثة خطرت له. أمال برأسه قليلًا وأخذ يتحدث بسخرية قاتلة:

- "حسنًا، قولي ما تريدين... على أي حال، لقد فات الأوان الآن، أليس كذلك؟ سأمنحكِ فرصة لبعض الكلمات الأخيرة، كما ترين، أنا في مزاج جيد اليوم!"

لم تلتفت الفتاة الصغيرة نحوه أبدًا، كانت عيناها الكبيرتان لا تزالان مثبتتين عليّ... كل ما كنت أراه في نظرتها هو حزن عميق... حزن ليس فقط على اللحظة الحالية، بل على شيء أعمق، شيء أكبر. بصوت مكسور، كأنها تهمس من عمق قلبها، قالت:

- "لماذا تركتني يا دينا؟"

كانت كلماتها مثل سكاكين تمزق قلبي... شعرت بالدموع تغمر وجهي، وتمتزج بالدماء التي تغطيه. نظرتها كانت ثقيلة... مؤلمة:

- "هل تذكرين أول مرة التقينا؟ في ذلك المسجد؟ لجأتُ إليه بعد أن تسببت لي بالألم... بعد أن التهمتني نيران غضبك. كنت هناك، في الداخل، أشعر ببعض الأمان. لكنني رأيتكِ من النافذة، تائهة، مكسورة..."

سعلت الطفلة بعنف، واندفع الدم من فمها، لكنها تابعت بإصرار:

- خرجتُ لأجلكِ، رغم خوفي، لأنني ظننت أنكِ ستحميني..."

خفضت رأسها، كأنها لم تستطع قول ما كان يجرحها حقًّا:

- "لكنني لم أكن في أولوياتكِ أبدًا، أليس كذلك؟ لطالما اخترته هو..."

كان قلبي يتفتت مع كل كلمة تنطقها. أردت أن أقول شيئًا... أردت أن أعتذر. لكن الكلمات خانتني. همست بصوت متهدج:

CamScanner

- "لكن... كنتِ بعيدة، باردة... كنت أعتقد أنكِ..."

قاطعتني بنبرة يائسة، مليئة بالألم:

- "لا، يا دينا... لطالما كنت بجانبك، أنتِ من أبعدتِني. كنتِ مُغرمة به، متعلقة به... حتى أنكِ لم تعودي تريني. لقد سيطر عليكِ، خدعكِ، وأنتِ... أنتِ سمحتِ له بذلك. في كل مرة كنتُ أمدّ يدي لكِ... كنتِ تختارين يده..."

نظرت إلى الرجل المظلم، كانت الكراهية تتصاعد في عينيه... شعرت بأنه يجب عليّ فعل شيء ما... كان يجب أن أنقذ الطفلة:

- "لا أستطيع... لا أستطيع أن أستوعب كيف آذيتكِ بهذا الشكل... كيف آذيت ابنتي هكذا..."

نظرت إليّ بعينين حزينتين وقالت:

- "لست ابنتك يا دينا... ولست أنتِ عندما كنتِ صغيرة... أنا تلك الضحكة التي خنقتها، وتلك الفرحة التي تخلّيتِ عنها... أنا شفاؤكِ الداخلي، أنا طفلتكِ الداخلية!"

كانت كلماتها تتردد في أعماقي كصدمة فظيعة:

- "لا، مستحيل... كيف يمكن أن يكون هذا حقيقيًا؟!"

نظرت إليّ بدموع في عينيها وهمست:

- "لقد اخترتِه يا دينا، تخلّيتِ عني لأجل هذا الوحش، هذا..."

لكن قبل أن تكمل حديثها، غرس الرجل المظلم السكين في بطنها مرة أخرى، وسحبها بعنف! كنت على وشك الصراخ، لكنّ الألم العميق في بطني أعادني إلى واقعي! نظرت إلى بطني، ورأيت الدماء تتدفق بغزارة من جرحين عميقين... أدركت أنّ صدمة ما حدث منعتني من الشعور بألم الطعنة الأولى!

رفعت رأسي ببطء، ونظرت إلى الرجل المظلم، وقلت بصوت متحشرج:

- "إذًا... كل هذا كان كذبة؟ كل ما جعلتني أشعر به؟"

نظر إليّ بحزن، وعيناه مملوءتان بالدموع:

- "هل تعتقدين أنني خدعتكِ؟ هل تعتقدين أنني كذبت عليكِ؟ دينا... لقد أحببتكِ بطريقة لا يستطيع أحد فهمها. لقد حميتكِ من كل الأوهام الكاذبة، لأنّ هذا العالم يا دينا... هذا العالم أسود، بارد...لا أحد يمكنه أن يحبكِ كما فعلتُ أنا."

غمرته مشاعر من الحزن والغضب، وصوت أنفاسه الثقيلة ملأ المكان. قبض على السكين بقوة، وكأنّ كل مشاعره كانت تتركز في تلك القبضة الخبيثة. كنت أستطيع رؤية الألم الذي يعتصره، لكنه لم يكن الألم الذي يُظهر الندم، بل الألم الذي يتغذّى على الغضب:

- "لقد حميتكِ يا دينا! حميتكِ من تلك الأكاذيب! أنا الوحيد الذي يفهم عمق معاناتكِ... كيف لا تتذكرين ذلك؟! لقد كنتُ دائمًا هنا، بجانبكِ! لقد عشت معك كل ألم، كل لحظة..."

فجأة، شعرت بصداع حاد يضرب رأسي، كأنّ صاعقة قد عصفت بي... صرخت بصوت مرتفع، ووضعت يداي المرتجفتين على صدغي، محاولة مقاومة الألم المتزايد. بدأت الصور تتلاطم في ذهني، ذكريات كنت قد دفنتها منذ زمن بعيد، وها هي الآن تعود لتعذبني!

رأيت مشاهد من شجارات عنيفة، أثاثٌ محطمٌ، أرضيّة مغطّاة بالدماء! كنت أشعر بعدم الأمان، بالخوف، وكأنّ كل شيء كان ينقلب ضدي. كان المنزل في حالة خراب، لكنه لم يكن مكانًا غريبًا. لا...لقد كان المنزل الذي رأيته من قبل... إنه المنزل الذي كنت فيه في القرية!

ثم بدأت أسمع همسات متقطعة، وصراخ رجلٍ، لم يكن صوت الرجل المظلم، بل كأنه من ماضٍ بعيد:

- "ماتفهميش واش قلتلك؟ والله نحرق..."
- "هكذا تتعلمي بلي؟"
- "خايفة..."

كانت الأصوات تتسارع، والذكريات تتوالى بسرعة، وكأنها شريط سينمائي يعاد عرضه أمام عينيّ!

@ART_OF_BOOK
CamScanner

ضربات... صرخات من الألم... دم يتناثر على الجدران... يا إلهي، ما هذا؟!

قاطع الرجل المظلم هذه الذكريات اللعينة بصوتٍ عالٍ:

- "لا يمكنك الهروب من ماضيكِ يا دينا... مهما بذلتِ من جهد، سيظل يتعقبكِ. حتى لو حاولتِ نسيانه، ستبقى تلك الذكريات تطاردكِ. والأسوأ من ذلك، أنّ آلامك ستتحول إلى غضب! وسترين غضبك ينقضّ عليكِ، يحرقك ويحرق كل من حولك!"

ازدادت الصرخات في رأسي، وأصبح الألم لا يطاق. ثم عادت تلك الرائحة... رائحة الحريق التي تملأ أنفي! وفجأة، هاجمتني صورٌ مرعبة، لا أعلم إذا كانت ذكريات أم ثمرة خيالي!

كنت أحترق لدرجة أنّ جلدي ذاب وانتفخت عروقي، ولم يتبقَّ سوى عين واحدة في وجهي من شدة الحروق... كأنني أتحول إلى الجنية الغاضبة، بل كنت... هي؟! لا! مستحيل!

أفاقني من هذا الكابوس صوت الرجل المظلم:

- "لن تتمكني أبدًا من محو ما كنتِ عليه يا دينا. هل تعتقدين أنّ الماضي يختفي؟ لا، إنه يترك جروحًا لا تلتئم أبدًا!"

CamScanner

رفع السكين مجددًا، وغرسه بوحشيه في جسد الطفلة الصغيرة مرة أخرى. صرخت بكل قوتي، كنت أشعر بأنني عالقة في كابوس لا نهاية له، مشوشة، منهارة، والدموع تنهمر على وجهي...

- "هاهاها... هي لا تعرف، أليس كذلك؟ إنها تعتقد أنّ العالم بسيط... أنها قادرة على تجاوز كل شيء بكلمة، بضحكة، لكنها لا تعرف الألم الذي عشناه... نحن الذين تعذبنا، نحن الذين بكينا، عانينا معًا يا حبيبتي..."

طعنة أخرى، أقوى من السابقة...

- "لن أدعكِ تفلتين مني يا دينا!"

طعنة أخرى...

- "لن أدعكِ تتركينني، بعد كل ما مررنا به!"

طعنة أخرى...

- "أحبكِ... أكثر من أن أسمح لكِ بالرحيل، وأكثر من أن أسمح لها بأن تحلّ مكاني!"

كانت الطعنة التالية أعنف من أي شيء سبقها. شعرت بالألم يمزق أحشائي... وكأنّ جسدي لم يعد يتحمل المزيد... كل طعنة كانت تحرقني من

CamScann

الداخل... جسدي كان ينزف بغزارة، ملابسي البيضاء تحولت إلى اللون الأحمر من الدماء... كان الألم لا يوصف يا إلهي!

نظرت إلى الطفلة الصغيرة، ورأيتها في حالة مزرية، جسدها الصغير ممزق بالطعنات... شعرت بحزن عميق تجاهها، شعرت بأنني مسؤولة عن كل ما يحدث لها..

نظرت إلى الرجل المظلم وقلت بصوت خافت:

- "هذا الذي تسميه حبًا... هو حبٌ سام! إنه تملّك. أنت لا تحبني... أنت فقط تريد أن تبقيني لك، أن تسيطر عليّ... أحتقرك!"

بدأتُ بالسعال، وخرجت دماء من فمي، شعرت بجسدي يتداعى أكثر فأكثر:

- "أنت لا تعرفني... لا تعرف من أنا حقًا، ولا أعرفك، أنت..."

لكن قبل أن أكمل كلماتي، غرس طعنة جديدة في جسد الطفلة الصغيرة، وبدأ بالضحك بشكل هيستيري:

- "أوه، لكنكِ تعرفينني جيدًا يا دينا! لقد كنتُ معكِ طوال حياتك! أنا جزء منكِ!"

طعنة أخرى...

@ART_OF_BOOK

CamScanner

- "أنا الحارس الأخير للأسرار التي تضيء دروب الفهم... أنا ذاكرتك المسروقة، أنا جروحكِ المفتوحة، أنا صدماتك يا دينا!"

طعنة أخرى...

فتحت عيناي على اتساعهما، وكان جسدي يتلوى من شدة الألم... وجهه كان محمرًا من الغضب، وانفجر بالبكاء:

- "هل تعتقدين حقًّا أنني سأتركك؟! هل تعتقدين أنني سأدعكِ تختارين طريقًا أسهل؟! بعد كل ما فعلته من أجلكِ؟! بعد كل شيء مررنا به معًا؟!"

في لحظة جنونية، أمسك الفتاة الصغيرة من شعرها بقوة، وجذب رأسها للخلف، ووضع السكين على عنقها... كان يهمّ بتوجيه الضربة الأخيرة، وقبل أن أتمكن من الرد أو الصراخ، تابع وهو يصرخ بجنون:

- "لن أدعكِ تفلتين مني يا دينا... ستبقين معي للخلد!"

صرخت بكل قوتي، ويداي كانتا ترتجفان:

- "لا... أرجوك، لا تقتلها! أرجوك..."

انفجر مرة أخرى في ضحكة شريرة، ضحكة خالية من أية رحمة... بدا وكأنه يتغذى على الألم الذي كنت أعيشه. لم أعد أفهم كيف يمكن لشخص أن ينتقل بين الحزن والغضب، البكاء والضحك، كأنّ الشيطان نفسه يتلاعب به...

CamScanner

وعندما توقف عن الضحك، أبعد السكين عن عنق الفتاة، وسحبها من شعرها تاركًا وراءها شريطًا من الدم، حتى وصل إلى قدميّ. ثم نظر إليّ بابتسامة ماكرة وقال:

- "ما الذي يجعلكِ تظنين أنني سأكون من ينفذ الطعنة الأخيرة يا حبيبتي؟"
- "أرجوك، فقط دعها وشأنها. لقد غيرت رأيي، أنا أختارها الآن... أنا... لا أحبك، أرجوك، افهم هذا!"

ضحك بصوتٍ أعلى وهو يمسك بالفتاة من شعرها:

- " لم تفهمِ بعد يا دينا..."

اقترب مني، وكان السكين في يده يقطر بالدماء:

- "ألم تدركي بعد أنكِ قد اخترتِ بالفعل؟ في السجن... أتذكرين؟ اخترتِني، يا دينا. قلتِ لي إنّكِ تريدين أن نكون معًا للأبد، وهذا ما أقدمه لكِ الآن."
- "لا... لقد خدعتني، جعلتني أصدق أنني لا أملك خيارًا أفضل منك. لقد كذبت عليّ!"
- "لا يا دينا... لدينا دائمًا خيار... وأنتِ اخترتِني. هذه هي العواقب، ولم أجبركِ على أي شيء!"
- "لا أريد هذا بعد الآن..."

CamScanner

سمعت صوت الطفلة مرة أخرى، وهي تنطق بصوت ضعيف، وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة:

- "كانت هذه فرصتكِ الثانية يا دينا..."

تيك تاك...

لا، لا! ليس هذا الصوت اللعين مجددًا!

تدم الرجل المظلم السكين الملطخ بدماء الطفلة الصغيرة، وقال بابتسامة خبيثة:

- "حان الوقت يا دينا... حان الوقت لتتحملي نتائج اختياركِ... حان الوقت لنصبح مرتبطين إلى الأبد..."

تيك تاك... تيك تاك...

- "لا... لا أستطيع... لا أريد أن أفعل هذا، أرجوك... توقف!"
- "خذي السكين يا دينا... الآن!"

لكن قبل أن أرفض مرة أخرى، شعرت بيدي تلتقط السكين... لقد فقدت السيطرة عليها، يا إلهي! لم أعد أتحكم في حركاتي، كيف يمكن أن يحدث ذلك؟!

- "هذا مستحيل... لا أستطيع أن أقتلها... لا أريد أن أفعل هذا... أرجوك، توقف!"

CamScanner

تيك... تاك... تيك... تاك...تيك تاك...

- "حين تلتقي الأضداد، ينكشف القناع ويظهر الوجه الخفي للقدر... افعليها يا دينا، افعليها... أوقفي هذا الألم...افعليها!"
- "لا... أرجوك... لا أريد، أنا..."

تيك... تاك... تيك... تاك... تيك... تاك...تيك تاك...

وفجأة، تلاشى الصوت كما ظهر... كان الصمت ثقيلًا...

برد قاتل اجتاح كل كياني، شعرت بعمق السكين المغروز في رقبتي...

اتسعت عيناي من الصدمة... شعرت بدوار لا يطاق... شفتاي كانتا ترتعشان... لم أعد أتحرك، وكأنني مشلولة... الدماء كانت تتدفق في كل مكان...

نظرت أمامي... كان الرجل المظلم ينظر إليّ بنظرة مليئة بالرضا، مبتسمًا... كانت نظرة الفائز، لقد انتصر...

نظرت مجددًا إلى الأسفل، وهناك، عند قدميّ، كانت الطفلة... جسدها الصغير ممدّد، ممزق، ومغطى بالدماء. أنفاسها بالكاد أسمعها، كأنها همسات خافتة من حياة تختفي ببطء...

لم أستوعب حتى ما حدث، إذ بدأ كل شيء يتلاشى أمام عيناي، كما لو أنّ الأشخاص من حولي تحولوا إلى غبار، يذوبون تدريجيًا في الهواء... لا

رجلٌ مظلم، ولا طفلة صغيرة، ولا جنّية غاضبة، ولا امرأة أنيقة... لا أحد... وكأنهم لم يكونوا موجودين قط... وكأنهم لم يكونوا سوى أوهام...

شعرت بجسدي الضعيف يرتخي فجأة... قدماي اللتان كانتا مثبتتين على الأرض بدأتا بالتحرك وسقطت على ظهري، ثم تسللت برودة الأرض الموحلة إلى عظامي...

نظرت إلى السماء، أبحث بيأس عن إجابة، عن تفسير... كان الدم يتدفق من فمي، يخنقني، ويمنعني من التنفس. أفكاري مشتتة، وذكرياتي مختلطة...

- "كانت هذه فرصتك الثانية، يا دينا..." سمعت ذلك الهمس...

وفجأة، بدأت الصور تتدفق إلى رأسي المتعب...

رأيت نفسي أسير حافية القدمين في الغابة، ممسكة بسكين... كانت هناك منازل قديمة متعبة من الزمن، تشبه تلك التي تركها الاستعمار الفرنسي... كل شيء كان هادئًا جدًّا، ساكنًا جدًّا، باستثناء المطر الذي كان يتساقط بغزارة. ربما كان الناس نائمون، لكن لماذا كنت هناك؟

رأيت نفسي أنظر إلى الساعة حول عنقي: 3:30 صباحًا.

رأيت وجهي مثقلًا بحزن عميق... كنت أنظر إلى الفراغ، كأنّ شيئًا لم يعد يهمّ، وكأنّ كل شيء فقدَ قيمته...

بصوتٍ ضائعة، كمن يسير في نومه دون أن يدرك... وفجأة، رأيت نفسي أصرخ، وأصرخ بكل ما لدي من قوة، وعيناي متجهتان إلى السماء، والدموع تنهمر بلا توقف. كان صراخي ممزوجًا بآلام لا تنتهي، كأنني كنت أحمل عبء هذه الغابة بأسرها...

تكررت أمامي صور المنزل الملطخ بالدماء، والصراخ، والشجارات العنيفة لمرة أخيرة قبل أن...

رأيت نفسي ألتقط السكين وأغرسه في بطني عدة مرات، وأنا أصرخ بقوة حتى كاد رأسي ينفجر وكأنني مسكونة بشيء، لا أشعر بالخوف ولا بالألم! تساءلت بيني وبين نفسي وأنا أشاهد ما يحدث: هل يمكن أن يكون الألم الروحي أقوى من الألم الجسدي؟

ثم رأيت نفسي أضرب رأسي بقوة، وأنا ألعن حياتي البائسة، وكأنّ ذلك لم يكن كافيًا، غرست السكين بعنف في رقبتي...

ثم رأيت نفسي أسقط على الأرض... في نفس المكان الذي أستلقي فيه الآن. حيث احتضن الطين البارد والدم المتدفق جسدي الممزق...

- "كانت هذه فرصتك الثانية يا دينا..." سمعت الهمس مرة أخرى، كأنه صدى بعيد يتردد في ذهني...

كنت أحتضر، لكنني لم أمت بعد...

كنت عالقة بين الحياة والموت...

CamScanner

بينه وبينها...

أدركت أنّ الوقت توقف، مانحًا إيّاي فرصة ثانية، فرصة للتشبث بالحياة... لكن كان عليّ أن أختار،

وقد اخترته للمرة الثانية...

جفّ القلم ورفِع الستار!

السماء كانت تقترب مني، وكأنها مستعدة لابتلاعي في ظلامها اللامتناهي... برد قارس اجتاح كل عظامي... لكن كل هذا لم يكن شيئًا مقارنة بما شعرت به حقًّا...

مقارنة بالوحدة القاتلة...

آه، الوحدة... ليست فراغا، بل حضور ثقيل، يذكرك في كل لحظة بأنّ لا أحد سيأتي، بأنك منسية... حتى من نفسك.

CamScanner

النهاية

CS Ca

توقف لاتجعل آلامك تد
نحوي! أعلم أن لديك ذ
مريرة، لكن لا تدعها
لطريقي. أهرب الآ
أسيراً لأوه
ـدين

CamScanner

دينيـــاتور

أنا تائهة... في أعماق غابة تنبض بالخوف، محاطة بنداءات خافتة تحمل في طياتها آهات وصرخات بعيدة! الدماء... الدماء في كل مكان، حتى على جسدي، يا إلهي! ما الذي حدث لي؟ من الذي فعل بي هذا؟

اسمي دينا... أو هكذا أعتقد، لأن الحقيقة المرة هي أنني لا أستطيع تذكّر هويتي. لا أعلم كيف وجدت نفسي هنا، ولا لماذا يطوّقني الرعب من كل جانب!

أبحث بيأس عن الحقيقة... أستجدي ذاكرتي المنهكة، لكن كلما اقتربت منها، تلاشت كالسراب. وتعلمون ما هو الأسوأ في هذا كله؟ أنني لست وحيدة... لا، هناك صوت داخلي يخبرني أن هناك من يراقبني، وكأن الأرض نفسها تتآمر عليّ.

أحتاج إلى يد تمتد نحوي... يدك أنت! افتح هذا الكتاب، دعني أستمد منك القوة التي أفتقدها، ساعدني قبل فوات الأوان!

CamScanner